T
93A

تربيـــة المـــرأة فـــي الاســــــلام

صبـــا الفاهـــوم

رسالة رفعت لدائرة التربية في الجامعة
الاميركية في بيروت لاستكمـــــال
المتطلبات لنيل درجـــة
استـاذ علــــوم

الجامعة الاميركية في بيروت

ايار، ١٩٦٤

الاهـــــــداء

الى من غرس الايمان في نفسي ، وعلمني ان الكرامة اغلى من الحياة • الى روح اخي ، علها تستقر يوم ترى ان غرسها قد اينع •

كلمة شكر

اود ان اتقدم بجزيل الشكر لاسرة دائرة التربية بكل ما فيها من اساتذة وموظفين، الاوائل لما اعطوني من عصارة نفوسهم والاواخر للروح الطيبة التي ابدوها كلما تطلب الامر مساعدة .

ويطيب لي ان اتوقف قليلا لاقدم وافر شكري واحترامي للسيدة الاستاذة فايزة انتيبا لاشرافها على هذه الرسالة وبالتالي مشاركتي في مجهود اخارجها الى حيّز الوجود . كما يسعدني ان اتقدم من الدكتور مالك بدري بخالص الشكر والتقدير لمساعدته القيمة الفعالة ومن الدكتور منير بشور بتقديري وشكري لاقتراحاته وانتقاداته التي لم يتوان قط في ابدائها والتي كثيرا ما انارت السبيل .

ولن اختم كلمتي قبل ان اتقدم من الدكتور حبيب كوراني بتقديري لروحه الابوية وللدكتور كاجوليوس رئيس الدائرة ، اتقدم بخالص الشكر لمجهوده الكبير في محاولة تغيير بعض وجهات النظر التي لا يراها تنطبق على واقع العالم الحالي والتقدير لنجاحه في هذا في كثير من الاحيان .

ولا يسعني الا ان اتقدم من الاخ الزميل الاستاذ سجاد رزقي لمساعدته القيمة بقيامه بترجمة اجزاء كبيرة من بعض الكتب الفارسية والاردية التي احتجت اليها في بحثي الحالي ولفضيلة الشيخ سليم جلال الدين وافر الاحترام لتفضله بفتح مكتبته القيمة لي اغترف منها ساعة اشاء . وللاستاذين عبد المنعم غزالي وعبد الرحمن عبيه خالص الشكر لمساعدتهما في مراجعة الآيات .

المحتويــــــات

كلمــة شكـــر	
موجز الرسالة بالعربية	
موجز الرسالة بالانجليزية	
الفصــل الاول	١ ـ ٨
ا ـ التعريف بالمشكلة	١
ب ـ الفرضيات الرئيسية	٦
جـ ـ طريقة البحث	٦
د ـ تحديدات الدراسة	٧
الفصــل الثانــي	٩ ـ ٥٠
دور الاسلام في المجتمع	٩
ا ـ الاسلام كدين	٩
ب ـ الاسلام والمجتمع	١٠
جـ ـ الاسلام والعلم	١٤
د ـ نظرة محمد الى العلم	١٩
امكنة التعليم قبل انتشار المدارس	٢٣ ـ ٣٢
ا ـ المساجد	٢٣
ب ـ الاسواق العامة	٢٤
جـ ـ القصور والدور	٢٤
د ـ حوانيت الوراقين	٢٥
هـ ـ منازل العلماء	٢٦
و ـ الخــانقــاه	٢٦
ز ـ الربـــــاط	٢٦
حـ ـ الزاويــــة	٢٧
ط ـ البيمارستان	٢٨

المدارس	٢٩
الاسلام والمرأة	٣٢
الاسلام وتعليم المرأة	٤٦
الفصل الثالث	
تعليم المرأة المسلمة في عصور الاسلام الاولى	٥١ ـ ٦٦
الفصل الرابع	٦٧ ـ ٨٣
العوامل التي اثرت في المجتمعات الاسلامية وما نال المرأة منها	
العوامل الثقافية التي تداخلت في الاسلام	٦٧
تأثير الفلسفة الاغريقية	٦٩
التأثيرات البيزنطية والايرانية	٧٠
المرأة في المجتمع البيزنطي	٧١
مركز المرأة في ايران القديمة	٧٣
المرأة في المجتمع الهندوسي	٧٥
الفصل الخامس	
تربية المرأة المسلمة في العصر الحاضر	٨٤ ـ ١٠٢
المرأة في مصر	٨٦
" " العراق	٨٧
" " السودان	٨٨
" " الاردن	٩٠
" " سوريا	٩٠
" " الكويت	٩١
" " السعودية	٩١
" " تركيا	٩١

المرأة في ايران	٩٢
" " الباكستان	٩٣
المحافظة على الشخصية المسلمة ومحاولة اثباتها	٩٥
مبادئ التربية الاسلامية	٩٦
التربية التي تحتاجها المراة المسلمة	٩٧
الخـــاتمـــــة	١٠٢
المراجع والمصادر العربية	١٠٣ ـ ١١١
المراجع والمصادر الانجليزية	١١٢ ـ ١١٥
ملحق تفسير الايات	١١٦

موجز الرسالة

مع ان الصلات بين العالم الاوروبي والبلاد الاسلامية ليست حديثة العهد الا ان الدول الاسلامية لم تشعر بقوة هجوم الحضارة الاوروبية الا متأخرة .

انه لمن الصعب تعيين التاريخ الذى ابتدأت فيه المجتمعات المسلمة في العالم تواجه التأثير الناتج عن عوامل التطور الواردة من اوروبا ، ولكننا نستطيع القول انها ظهرت بشكل واضح بعد الحرب العالمية الاولى بعد ان سلب آخر خليفة تركي من قوته ــ مهما كانت ضآلة هذه السلطة والقوة ــ وهكذا فقد المسلمون آخر رمز سياسي للسلطة الاسلامية . وايقنوا ان عليهم قبول التطورات الحضارية الحديثة اذا ارادوا الحياة والصمود في هذا العصر المتطور .

واختلفت ردة الفعل بين مجتمع اسلامي وآخر فقد دفع الشعور بالهزيمة البعض الى التخلي عن مبادئ الدين والمطالبة بالتغيير الشامل ، معلنين ان المبادئ الاسلامية قد اصبحت غير عملية ولذا فيستحسن التجاوز عنها . كما حدث في تركيا التي فصلت الدين عن الدولة واضعة الدين في المركز الثاني . وتمسكت مجموعة اخرى بنمط الحياة القديم واظهرت استياءها من كل جديد ناظرة اليه كشيء ملتو او خاطيء كما حدث في افغانستان والمملكة العربية السعودية . وطالبت مجموعة ثالثة بتقييم ما لديها ومحاولة تبني بعض القيم الجديدة على ضوء ما تحتاجه مجتمعاتها الخاصة ومنها مصر وسائر البلاد العربية وايران والباكستان .

ومهما اختلفت النظرة فانه من الواضح ان الجميع قد تيقظوا الى نقطة هامة وهي ان هنالك تحد حضارى وارد من الخارج وعليهم ان يواجهوه بشكل او بآخر . وهذا الامر نفسه دفعهم الى تقييم ما لديهم ودراسة ما ينقصهم . ومن هذه الامور التي كانت موضع الدراسة ــ مركز المرأة المسلمة وخاصة وضعها التعليمي . ففي بعض الجهات القيت مسؤولية حالة الجهل التي تعيشها المرأة المسلمة على التعاليم الاسلامية وانه من الصعب مواجهة التحدى الحضارى الذى تجابهنا به الحضارة الاوروبية ما لم نتخلص منها .

وهذه الدراسة هي محاولة لبحث نظرة الاسلام الى المراة بشكل عام والى تحليل نظرة الاسلام الى تعليم المرأة ، واكتشاف العوامل التي ادت الى حالة الجهل المطبقة التي كانت تعيشها حتى فترة قريبة لنرى ان كانت المسؤولية تقع على عاتق المبادئ الاسلامية ام لا •

تألفت الدراسة من خمس فصول لتحديد موقف الاسلام من تعليم المرأة مع لمحة عن التربية الاسلامية في عصور الاسلام الاولى والوسطى وارتباط ذلك بالمبادئ الاسلامية • وبحثت في الاختلاف بين المبادئ الاسلامية وما يزاوله المسلمون من عادات والحاجة الماسة الى تنظيم تعليم المرأة على ضوء المبادئ الاسلامية الصحيحة •

بدأت الدراسة ببحث طبيعة المشكلة ، واهميتها ، والفرضيات الرئيسية وطريقة البحث والامور التي حددت الدراسة • والطريقة التي استخدمها هي البحث عن طريق المكتبة مضافا اليها مقابلات خاصة مع بعض من عنوا بالبحث في هذا الحقل ثم دراسة الحاجات الاجتماعية المختلفة للبلدان الاسلامية •

ويلي المقدمة فصل آخر يبحث في نظرة الاسلام الى العلم بشكل عام والى مركز المراة وتعليمها بوجه خاص وقد وضح من البحث ان الاسلام يؤكد على تعليم المسلمين من افراده رجالا كان هؤلاء ام نساء • فالتعليم فرض على كل مسلم ومسلمة ، وهذا ما اثبته القرآن وايده الحديث وطبّقه رجال المسلمين الاوائل • وما يثبت القول ويدعمه بان الاسلام يؤكد على تعليم المراة انه وضع على عاتقها مسؤولية تربية الجيل الجديد وبالتالي فقد عهد اليها ببناء المجتمع الاسلامي عن طريق تربية افراده تربية صحيحة • وهذه الحقيقة تقودنا الى حقيقة اخرى هي ان الاسلام يفرق بين ثقافة افراده من الجنسين كل حسب دوره في المجتمع • وورد في الفصل بحث لاماكن التعليم في الاسلام قبل تأسيس المدرسة • ثم بدء تأسيس المدرسة في الاسلام ، واهم المدارس التي انشئت مع ذكر المدارس التي

قامت النساء بانشائها في مختلف العصور وخاصة خلال الخلافة الايوبية .

اما الفصل الثالث فتناول تعليم المرأة في عهود الاسلام الاولى مما قادنا الى ان تعليم المرأة قد ابتدأ منذ حياة الرسول . وقد مر ذكر عدد من النساء اللواتي اشتهرن بمختلف الحقول التعليمية كالادب والشعر والغناء والطب. وظهر من البحث ان المرأة المسلمة اسهمت في كل نواحي الحياة فكانت قاضية ومحاربة وسياسية ومصلحة اجتماعية . واتضح ايضا ان سبب نقص نسبة المتعلمات من النساء عن الرجال قد يعود الى ان الفتيات كن يتلقين علومهن في المنزل على يدى قريب او مؤدب خاص. ومر الزمن واستمرت الفتاة تتلقى العلم في المنزل دون ان يهتم احد بتغيير الامر او تبديله بالنظر الى تبدل الظروف والاوضاع والحاجات حتى وصلت الحالة الى نوع من الركود والجمود .

ومما زاد الامر ضغثا على اباله ان قفل باب الاجتهاد في بداءة الفترة العباسية وهكذا استحالت امكانية تغيير الامور الجارية حسب حاجات المجتمع المتطور.

اما الفصل الرابع فقد تناول العوامل المسؤولة عن حالة الركود التي وصلت اليها المراة المسلمة وخاصة ما تعلق بقضية تعليمها . واتضح ان المبادئ الاسلامية قد تأثرت بالعوامل المحلية والعادات الاجتماعية للمجتمعات التي اعتنقت الاسلام . واهم هذه العوامل التي ادت الى تشويه مبادئ الاسلام ، والى حالة الركود والفساد التي يعيشها المسلمون، وخاصة فيما يتعلق بتعليم المراة ، هي نتيجة التأثير البيزنطي والهندوسي . فقد كانت النظرة الاولى تعتبر المرأة اقل منزلة من الرجل وليس في امكانها ان تأخذ دورا معينا في بناء المجتمع. اما النظرة الايرانية فكانت تعتبر المراة مساعدة لأهريمان" (الشيطان) وتمثل الشر المجسم، ولولا الحاجة اليها لايجاب الرجال لما خلقها الاله "اهرمزد".

واما في الهند فلا يعتبر للمرأة وجود اطلاقا الا بقدر ما لها من اتصال بالرجل لانها تعتبر ملحقا له . فهو الهها المجسد على الارض. ويمضي الفصل في سرد مركز المرأة

في تلك المجتمعات بوجه عام وقضية تعليمها بوجه خاص. وقد ظهران تلك المجتمعات اشتركت بنظرتها الى المراة من حيث اعتبارها اقل من الرجل مكانة وليس لها حقوقه وبالتالي فهي محرومة من حق التعليم. ولم تستطع هذه المجتمعات التي دخلت الاسلام حديثا التخلي عن نظرتها الى المرأة بسهولة ، فاحتفظت بها. ومع مرور الزمن اعتبرت هذه الامور غير الاسلامية وكأنها من صلب الاسلام مما دعا العلماء في نهاية القرن التاسع عشر وطليعة العشرين الى المطالبة بضرورة فتح باب الاجتهاد لتنقية النصوص الاسلامية من الشوائب الدخلية عليها.

من الممكن ان نقسم الفصل الخامس الى جزئين يتناول اولهما جولة سريعة في العالم الاسلامي ، باحثا التطورات التعليمية التي مرت بها المرأة المسلمة في العصر الحاضر ، ومظهرا كيف ادى الاحتكاك مع العالم الاوروبي الى نوع من الثورة المتحدية في العالم الاسلامي باسره. فقد تبين اهله مدى تقصيرهم وتأخرهم في امور التعليم. وعملهم على محاولة سد هذا النقص مما نتج عنه زيادة عدد المدارس والمؤسسات التعليمية للبنات في سائر بلدان العالم الاسلامي ، واندفاع عدد كبير من الطالبات الى حقول التعليم والتخصص ما زال يرتفع يوما بعد يوم.

اما الجزء الثاني فتناول النتائج التي اسفرت عنها الدراسة وتتلخص فيما يلي :

١ ــ يؤكد الاسلام على اهمية العلم ويعتبره حقا من حقوق المرأة بل هو واجب عليها كما هو واجب على الرجل.

٢ ــ لا توجد هنالك اية آية في القرآن تنفي حق المرأة في تلقي العلم.

٣ ــ ابتعد المسلمون عن تطبيق المبادئ الاسلامية الصحيحة بسبب تأثر المجتمعات المسلمة بالعوامل الوافدة ، وبالامور المحلية التي كانت تمارسها المجتمعات التي اعتنقت الاسلام ، والتي ادخلت هذه العادات معها على المجتمع المسلم. واحد هذه المبادئ وجوب تعليم المرأة مما ادى الى ان تعيش المسلمة في جهل مطبق وخاصة بعد انتهاء مدة الخلافة الاسلامية.

٤ ـ ومع انتهاء الحرب العالمية الاولى صحا المسلمون من غفلتهم وتنبهوا الـــى ضرورة التطور مع الجديد وبالتالي بذلوا مجهودات جبارة للنهوض بتعليم المرأة •

٥ ـ ظهر نوع من التأكيد في كل المجتمعات الاسلامية على الثقافة الواردة مــن اوروبا بدلا من دراسة حاجات هذه المجتمعات ووضع برنامج تربوى مبني على تراثها الثقافي ومتناسب مع حاجاتها الاجتماعية •

٦ ـ وقد تلت هذه النتائج بحث حول المبادئ التربوية في الاسلام • وقد احتوى أن الاسلام ليس مجرد مبادئ لاهوتية بل هو تشريع كامل للحياة • فاذا ارادت المجتمعات الاسلامية ان تحتفظ بشخصيتها المستقلة • وان تثبت هذه الشخصية فعليها ان تبني برنامجها التربوى على الاسس الاسلامية الصحيحة • وان تقوم باعداد برنامج خاص بالمرأة حيث تضيف الى المواد العلمية التي تتلقاها مـــواد اخرى تساعد على اعدادها لدورها الاساسي الذى اعطاها اياه الاسلام وهو بناء اسرة صحيحة من اجل النهوض بالمجتمع •

A B S T R A C T

Although the contact between the European powers and the Muslim countries in the East is not very recent, the impact of the European culture was felt rather late. It is difficult to fix the date after which the Muslim communities in the World found themselves face to face with the change-bringing influence of the West; it can however tentatively be said that the impact of these became apparent more after the First World War, when the last of the Turkish Caliphs was deprived of the power; whatwoever he had, and the symbol of Muslims' political sovereignty disappeared. The Muslims became conscious of the fact that in order to survive they had to accept the reality of the change and have further adopt such means which may enable them to survive in the new order of the world. The reaction of different Muslim communities of the world to this challenge was different; somewhere it was passive surrender with a sense of defeat, like Turkey, somewhere reactionary resistence, like Saudi Arabia and Afghanistan, somewhere progressive re-evaluation of the old and adaptation of the new values according to the needs of the community as happened in Egypt, Iran, Pakistan, Iraq and other Arab countries. Whatever the case may be, one thing is quite clear that all the Muslim world is facing a challenge from the Europe, which has forced them to take an account of what they have and what they lack. One part of this situation is the position of women in the Muslim communities, especially their education. In certain

quarters it is alleged that Islam has been responsible for the present condition of women in different Muslim communities and that according to Islamic principles, it is difficult to face the challenge offered by Europe.

The present study is an attempt to take an account of the situation in genral and survey the education of the Muslim women in particular. The study aims at briefly discussing the question of women education in Islam, and at discovering the factors responsible for the lag in this field if Islamic principles are not.

The study opens with a brief discussion of the nature and significance of the problem, basic assumption of the study, method employed and limitations thereof. The study is four-pronged: to determine Islam's position vis-a-vis women education; Muslim educational practices during the early and medieval periods and their relationship with the Islamic principles; a brief discussion of the clash between the Islamic principles and crystallized local practices and present needs of the education of Muslim women in the light of the Islamic principle.

The method employed is library research, complemented by personal interviews and a study of the Muslim communities from sociological point of view.

The introductory chapter is follwed by a chapter relating to the position of Islam ~~relating to education~~ in general and education of the women in particular. It has been

brought out that Islam lays basic emphasis on education and makes it binding on every Muslim, man or woman, to seek knowledge. From the Quran and the traditions of the Prophet, it has been shown that Islam is not in favour of blind faith but rather invites all its followers to think and arrive at their own conclusion. This makes education obligatory for every one. In so far as women are concerned, education for them seems to be more important as Islam entrusts them with the sole responsibility of bringing up healthy children and also of managing the home in order to provide a happy environment to the individuals who may in return find themselves fit to perform their social roles. This also leads us to conclude that Islam, by alloting different social roles to its women followers, does provide for different type of education for girls. We have also mentioned in this chapter different medieval Muslim institutions where educationwas provided. We have also referred to the schools founded by ladies in differnt eras especially during the Ayyubide period.

The third chapter relates to the education of the women in the early periods of Islamic history. It has been brought out that in the eaily period starting from the life of the Prophet, girls were educated privately at their homes, by their male relatives or teachers otherwise available.

We have mentioned the names of and number of celebrated women who were famous in different educational fields like literature, poetry, music, and medicine. From this

discussion it appears that Muslim women participated in all social fields, she acted as a judge, as soldier, politician and social reformer. It has also been explained that the deficiency in the field of Women Education resulted from the fact ~~that~~ I have just mentioned that the girls were usually educated in their houses, by their relatives or other teachers available. Later on, this practice continued and nobody took any step to review the situation, so much so, that it reached a stage of crystallization. Once the system was accepted generally, nobody ever tried to review the situation under the changed circumstances. Even when al-Ghazali, attempted to recast the curriculum of Islamic schools, he did not make any effort to attend the education of the girls and left it untouched. At that time, during the early periods of Abbaside Caliphate, the door of Ijtihad was closed and thus all possibilities of changing the practices according to the changing needs of the communities disappeared.

The fourth chapter deals with the education of the Muslim Women in the present era and the factors responsible for the stagnation of Muslims in respect of the education of the Muslim women. It has been brought out that Islamic principles were affected by the local practices of the communities which accepted Islam. The most important of the influences which have been responsible for adversity affecting the principles of Islam and leading to the present condition of Muslim women's education are Byzantian, Iranian and Hindu.

In all these societies, the position of women does not appear to be more than appendage to the man. In Byzantian Empire, upper class women seem to have some freedom in their daily lives but the middle and lower classes did not consider their women-folk fit to take part in the building up of the society except as a means of reproduction. Similarly, in Iranian society of that time and according to Zeorostrian doctrines, women were considered to be the representative of evil, and as has been shown, the Pahlavi word for woman is synonymous with the whore. The Hindu society as well treated woman as subservient to the needs and desires of men. They were not considered as having their own social entity. It has also been said that the influence of these local practices could not be given up by the newly converted Moslems, and with the passage of time these local practices were treated as Islamic practices.

The fifth chapter can be divided into two parts: first part undertakes a brief survey of the educational development of different Muslim countries especially relating to the education of women; and in the second we have given a round up as well as conclusions of the study. The first part discloses that with coming into contact with the European influences, all Muslim communities without any exception, have gradually realized their lag in the field and have been making continued efforts to make up for the deficiency. In all Muslim countries, the number of schools and other educational

institutions for the girls as well as the number of girls student has enormously increased and is showing constant and consistent upward trend. In addition to this tendency, it has further been observed that all these countries have either transplanted an educational system from a European country or adopted with minor changes. No attempt has been made in any one of these areas to undertake a survey of the needs of the community and to determine the social role of their girls and then formulating an educational system according to the result achieved through this survey. There appears to be more emphasis on imitation of Europe rather than a policy of taking the best for one's own needs.

The second part of the chapter relates to the conclusions of the study. These conclusions are summarized as follows:

i) Islam attaches great importance to education and women are also obliged to get education alongwith men.

ii) There is no injuction saying that women should not be educated.

iii) Under the foreign influences and local practices, Muslim communities gradually forget to implement Islamic principles into actual practices. One of the results of this forgetfulness was that a lag appeared in the field of women education and by the end of Muslim Caliphate, the condition of Muslim women in the world can easily be said to be diplorable.

iv) After the first World War, the Muslim countries have a trend to change according to the dictate of the new order and there have appeared continued efforts to give increased educational facilities to the girls.

v) In all Muslim countries, the emphasis is an imitation of Europe rather than a realization of the needs of the community. There has thus been no effort made to evolve a system of education suitable for the community based upon its own cultural traditions'.

These conclusions are follwed by a brief discussion of the principles of Islamic education. It has been contended that as Islam is not merely a system of theological practices but a complete code of life, and as all Muslim communities have been used to Islamic practices, it is in their interest of self identity that they should base their educational system on the Islamic principles, otherwise they might be able to copy the Western pattern of life, but they wi l never be able to assert themselves as cultural entities.

الفصل الاول

تربية المرأة في الاسلام

طبيعة المشكلة واهميتها

المقدمة

لا شك ان العالم بأسره يمر في فترة تغير في حياته الاجتماعية • وليس العالم الاسلامي الا جزءا من هذا العالم الكبير لذا فهذا التغيير يشمله كغيره • وقد ادى انتشار المدنية الغربية وامتدادها من المحيط الباسيفيكي حتى المحيط الاطلنطيكي الى ظهور عدد لا يستهان به من المشكلات للمجتمع الاسلامي • واني اعتقد ان المجتمع المسلم يريد السير في تيار الحضارة وتبني المبادئ التي قد تقوده الى التقدم الذى تفرضه الظروف الحاضرة ، الا ان هذا المجتمع نفسه يريد الاحتفاظ بصفاته التي تميزه كمجتمع اسلامي • واحدى هذه المشكلات تتعلق بالدور الذى يجب ان تلعبه المرأة في التقدم الاجتماعي •

في القرن السابع الميلادى بدأ محمد رسالته وانتشر الاسلام في عدد كبير من البلدان وبين العديد من الامم تختلف كل منها في عاداتها وتقاليدها وثقافاتها الاجتماعية ، ولا شك ان مبادئ الاسلام قد تأثرت بعض الشيء عند تطبيقها ، بهذه العادات المحلية • بل ان قوة الظروف المحلية قد طغت في بعض الاحيان على الاصل وغيرت المبادئ والطقوس الاسلامية تغييرا كاملا • ولا نستطيع فصل دور المرأة في الاسلام عن هذه الحقيقة ؛ فهل دورها اليوم في بناء المجتمع هو الدور الذى اعطاها اياه الاسلام ام انه تأثر بالظروف الاجتماعية التي احاطت بالاسلام عند انتشاره واختلاطه بالثقافات الاخرى؟

والموضوع الذى اخترته لهذه الاطروحة هو جزء من كل ؛ انه يتناول تربية المرأة في الاسلام ودور الاسلام في الدعوة الى تعليم المرأة • وعلى ضوء ذلك ساحاول تناول دور المرأة المسلمة الحديثة وما الذى تستطيع ان تفعله بهذا الشأن •

اذا اردنا معالجة المشكلة معالجة صحيحة وجب علينا طرح بعض الاسئلة التي لها علاقة قوية بالموضوع والاجابة عليها بتجرد موضوعي •

١ ـ هل يسمح الاسلام للمرأة بأن تتعلم ؟

٢ ـ ما هي الفكرة الاسلامية من تعليم النساء ؟

٣ ـ ما هي الاهداف التربوية التي ينشدها الاسلام ويرمي اليها ؟

٤ ـ هل ثقفت المرأة في الاسلام لتكون عضوا فعالا في المجتمع ام لاسباب خاصة كما ثقفت الجوارى في العهد العباسي ؟

٥ ـ هل يمكن توضيح الفكرة الاسلامية من حيث نظرة الاسلام الى تعليم المرأة ووضعها موضع التنفيذ بحيث تتلاءم وحاجات العصر الحاضر ؟

٦ ـ هل هنالك اى نوع من التصادم بين قيم التربية الاسلامية وما يحكم عليه التربية الكويتية ~~من مبادئ تربوية~~ ؟ واذا وجد هذا فما هي الاسباب ، وكيف يمكن التغلب على العوامل التي تسبب مثل هذا التضارب ؟

٧ ـ هل يتوجب على المرأة المسلمة التمسك بالفكر والثقافة الاسلامية فيما يتعلق بثقافتها الخاصة ؟

وهذه الدراسة ترمي الى بحث جميع هذه الاسئلة وساحاول تأليف البحث بحيث يتناول النقاط التالية :

١ ـ موقف الاسلام من تعليم المرأة كما ورد في القرآن وفي الحديث الشريف •

٢ ـ التغيير الذى حدث في موقف المسلمين من تعليم المرأة نتيجة للتأثيرات الوافدة التي كان لها اثر كبير في التعاليم الاسلامية الرئيسية •

٣ ـ وصف قصير لطبيعة التضارب بين عادات وتقاليد المسلين الجامدة وبين القيم الحديثة وخاصة في العصر الحاضر ونتائج هذا التضارب •

٤ ـ اعادة بناء المبادئ الاسلامية في ضوء الحاجات الحاضرة ومتطلبات المجتمعات الاسلامية •

وقد كان لظهور اهمية المشكلة في العصر الحاضر عوامل عديدة اولها : الوضع

العالمي العام الذى نتج عن الحرب العالمية الثانية ، والذى قسم العالم تقريبا الى معسكرين فلسفيين، كل معسكر يؤمن بنظرة معينة نحو علاقة الفرد بالمجتمع وتختلف بدورها اختلافا بينا عن النظرة الاسلامية ، بحيث لو انحاز المسلمون الى اى معسكر منهما لفقد طبيعة تربيته الاسلامية فاحدهما يضع ميزان الثقل بجانب الفرد والآخر بجانب المجموع • بينما المبادئ الاسلامية تدعو الى نوع من التعادل بين الاثنين •

٢ – ان هجوم القيم الحديثة على النواحي التقليدية في الثقافة الاسلامية دفعت المسلمين الى دراسة ما لديهم لمعرفة ما ينقصهم وبالتالي محاولة تعويض هذا النقص اذا ارادوا الصمود في هذا العالم المتطور• ولكن هذا لا يعني وجوب تسليم المجتمع الاسلامي للتطورات الاجتماعية التي اكتسحت غيره من المجتمعات• فالاسلام يختلف في نوعيته عن سائر الاديان لانه لا يعني بالناحية الروحية اللاهوتية فقط بل يرسم بالاضافة الى هذه الناحية طريقا للحياة • ولسنين طويلة كان الاسلام هو العامل الفاصل في كثير من حياة المجتمعات الاسلامية ، وليس من السهل التخلي عنه ، وازالة مثل هذا التأثير الكبير الذى انغرس لمدة طويلة في نفوس المسلمين • ولذا فعلى المربين التفكير في امكانية تكيفهم تبعا لظروف التغيير، ومن ثم تفسير المبادئ الاسلامية بحيث تطابق التغيرات الحديثة حتى يصل المسلمون الى النتيجة المطلوبة (هذا طبعا دون المساس بجوهر الدين) •

٣ – على الرغم من الانقسامات الواضحة بين المسلمين في العالم اليوم، الا ان هنالك نوع من الوحدة تجمع بينهم هي الايمان بوحدانية الله وبنبيه وبالوحي (١) • وقد اوضحت الدراسات التي قام بها كل من جب وروزنتال وغرونبيم (Grunbeam, Rosenthal, Gibb)

---

(١) من اراد المزيد من البحث فليرجع الى

B; I. Rosenthal, Political Thought in Medieval Islam, (Cambridge, University Press 1962) pp. 1-2

وغيرهم من المستشرقين والتي تناولت هذه الناحية ، ان المجتمعات الاسلامية في العالم كانت وما تزال تحاول مقاومة الذوبان في القيم الوافدة لانهم يريدون الاحتفاظ بالطابع الذى يميزهم كمجتمعات اسلامية •

٤ — كل المجتمعات الاسلامية تقريبا تحاول جاهدة التقدم والنهوض من سباتها الطويل خلال القرون الماضية حتى تتمكن من مواجهة التحديات التي تقابلها في القرن الحاضر• وقد لا تكون المسألة بهذه الصعوبة لو ان ما يريد المسلمون تحصيله هو التقدم المادى فقط ولكنهم وبالاضافة الى هذا فهم يكونون انفسهم كأمم مستقلة تريد مكانتها بين الامم ولكي يحققوا هذا يجب ان يأخذوا بعين الاعتبار جميع الامور والعوامل التي تكون الامة • والمال والمعدات المادية وحدها لا تكفي لتحقيق ذلك (٢) •

وليس من امة تستطيع الوصول الى التقدم الذى تنشده لو بقي نصفها عاطلا مشلولا ، رجالا كان هذا النصف ام نساء ومن ثم فأن المجتمعات الاسلامية اذا ارادت التقدم والنهوض فانها لا تستطيع اهمال المرأة بل عليها ان تعطيها قسطها من المسؤولية حتى يصل المجتمع الى ما ينشد من التقدم •

٥ — لا شك ان التربية هي احدى العوامل الرئيسية التي تعمل على تغيير المجتمع ولذا فعلى المجتمعات الاسلامية ان تنظم امور تربيتها بحيث تؤدى الى تحقيق القيم والاهداف والمثل العليا والاماني الوطنية التي تؤمن بها هذه المجتمعات •

٦ — من الحقائق المتفق عليها ان النظام التربوى لأى مجتمع يجب ان يكون ذا طبيعة محلية بحيث يتصل تمام الاتصال بالتراث الثقافي لهذا المجتمع • بل

---

(٢) من اراد التوسع فليرجع الى

Spirit of Islam, Sayed Amir Ali. (London, Christophers, 22 Berners St., W.I, 1923).

ان احدى غايات التربية هي نقل التراث من جيل لآخر. وكيف يمكننا تجاهل الدين وهو احد الينابيع التي تمد المجتمع بقيمه الرئيسية (٣)، وخاصة الدين الاسلامي الذى اعود فاكرر انه لا يتناول النواحي الروحية اللاهوتية فقط بل يتعداها الى رسم طريق للحياة.

٧ - واذا اراد المجتمع المسلم ان يسير على هذا النهج، اى نهج الاحتفاظ بالتراث الثقافي، فعليه ان يتوجه في رسم طريقه الى ما قد يقوده الى التقدم وان يستند الى مبادئ الدين.

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للحكم الاجنبي تأثير كبير في المجتمعات الاسلامية، اذ انساق قسم كبير منها الى الميل الى النظم الديموقراطية وتبني نظرتها المتفتحة للحياة. وبهذا بدأت في الابتعاد عن طريق التصلب الذى كانت تتبعه. ولكنها في نفس الوقت كانت تقاسي من ابتعادها عن تقدير القيم التي يتضمنها الدين الاسلامي. وكانت النتيجة وقوعها في الحيرة والتردد، اذ بدأت تنظر الى الدين وكأنه حائل دون كل تقدم. فالمسلمون ان ارادوا مجاراة ركب التقدم فعليهم التجاوز عن الدين لانه ضده. واما اذا ارادوا التمسك بالدين فعليهم التجاوز عن التقدم المطلوب. وهكذا بدأ المسلمون يتخبطون بين التقدم والدين.

واختلفت ردود الفعل في العالم الاسلامي بين بلد وآخر فتمسك البعض بالقديم ونبذ البعض الآخر الدين وحاول البعض الآخر ان يختار ويوافق بين الاشياء الحديثة وبين الدين. وهنا تعرض الاسلام لنوع من التجربة والتحدى لاثبات انه يصلح للحياة، واشتدت الحاجة لتطهيره من الشوائب التي علقت به وغيرت الكثير من المبادئ الاساسية، نتيجة للعوامل غير الاسلامية التي دخلت عليه نتيجة لاختلاط الثقافة الاسلامية بثقافة الامم التي انتشر بها الاسلام، وكيف يتم ذلك الا

---

(٣) George A. Lundberg Clarence, S., Shrag and Otto Larsen, Sociology (New York, Harper and Brothers, 1955) pp.602-603.

عن طريق اعادة دراسة هذه النصوص وتفسيرها . ولن يتم ذلك الا عن طريق فتح باب الاجتهاد من جديد وهذا ما حدا بعلماء المسلمين المطالبة بذلك .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للوعي الذى انبثق في الربع الاول من القرن العشرين تأثير كبير في توسيع تعليم المرأة ، وسار العمل في طريق النجاح . والحاجة الآن ماسة لتطوير هذا التعليم بحيث يعد الفتاة المسلمة لوظيفتها الاساسية التي اعدها لها الاسلام .

الفرضيات الرئيسية :

من المفترض ان عددا كبيرا من التأثيرات الاجنبية قد دخلت في طبيعة المبادئ الاسلامية واثرت بها مما أدى الى ضياع الروح الحقيقية لهذه المبادئ . وبناء عليه فهنالك حاجة ماسة الى اعادة بناء هذه المبادئ وتخليصها من كل الشوائب التي اثرت فيها .

ومن المفترض ان التعليم هو ضرورة لكل مجتمع يريد الحياة ، وبالتالي هو ضرورة للمجتمع الاسلامي ولا يمكن ان تستثنى المرأة من التعلم خاصة وقد فرض عليها الاسلام مسؤوليات ضخمة .

طريقة البحث :

الطريقة التي استخدمت في هذه الدراسة هي طريقة البحث العلمي عن طريق المكتبة وقد تألفت من : ـ

١ ـ مراجعة الكتب والنصوص التي تتناول المبادئ الاجتماعية للاسلام وخاصة ما كان متصلا بالتقدم الاجتماعي ومركز المرأة .

٢ ـ مراجعة الكتب التي تناولت تاريخ الثقافة الاسلامية في العصور الوسطى .

٣ ـ محاولة الوصول الى العوامل التي ادت الى ركود المجتمعات الاسلامية وتجمد العادات الاسلامية .

٤ — جولة في الكتابات المتوفرة عن حالة المرأة المسلمة في مختلف المجتمعات الاسلامية ومقارنتها بما فرضه الاسلام على المرأة ووضعه لها • وكذلك تقدير الحاجات المألوفة للمجتمعات الاسلامية وفحص المبادئ الاسلامية لترى ان كان من الممكن اعدادها للعصر الحاضر وكيف ؟

تحديدات الدراسة :

هذه الدراسة محدودة لعدة عوامل اولها واهمها انه ليس لدينا حجة نقدمها فيما يتعلق بالتخصص في القانون او الفقه الاسلامي • سنتناول ما ذكره الاخرون مستندين على القرآن والحديث وتفسيرات العلماء الاقدمين • وهـذه وان كانت تحدد البحث الى حد ما الا انه يمكن التجاوز عنها نظرا لان الهدف من الدراسة الحاضرة ليس البحث عن الاهمية الحقيقية والمعاني الكامنة للمبادئ الاسلامية وانما بحث هذه الاسس كما ذكرها المختصون في ضوء الظروف الحاضرة • وامر آخر يحدد البحث هو دراسة ظروف التغير التي طرأت على العادات الاسلامية بمرور الزمن • فاذا اخذنا بعين الاعتبار تعدد المسلمين واختلافهم واتساع البقعة التي انتشر فيها الاسلام نرى ان التأثيرات الجغرافية والثقافية والاقتصادية في اى بقعة من البقاع لعبت دورا هاما في التأثير في الاسس الاسلامية وتغييرها تغييرا كليا في بعض الاحيان • ولهذا فقد اكتفيت بالاعتماد على التأثيرات الرئيسية او محاولة الاستعانة بآخرين ممن حاولوا تحليل بعض الحالات المعينة المتعلقة ببحث كهذا •

وكذلك فان الدراسة تتطلب مراجعة حاجات ومتطلبات المجتمعات الاسلامية كل على حدة حتى نستطيع تقديرها وتفسيرها على ضوء الاسس الاسلامية • ولكن هذا وحده يتطلب بحثا كاملا • لذا فقد اكتفيت بدراسة الحاجات العريضة للمجتمعات الاسلامية على افتراض ان لها ظروفا متشابهة •

ولقد ورد هذا البحث في اربعة فصول تناول اولها : دور الاسلام في المجتمع الاسلامي ووضع المرأة فيه ثم موقف الاسلام من العلم ثم موقفه من تعليم المرأة •

وتناول الفصل الثاني لمحة عن تعليم المرأة في عهود الاسلام الاولى مع ذكر اسماء بعض شهيرات النساء •

ويعتبر الفصل الثالث تتمة للثاني من حيث الاسلوب والفكرة وقد تناول العوامل التي دخلت على الاسلام واثرت فيه مع تأكيد على ما نال المرأة المسلمة من هذه التأثيرات التي ابتعدت بها عن روح الاسلام الحقيقية •

وتناول الفصل الاخير وضع المرأة المسلمة في الزمن الحاضر والنتائج الخيرة التي حصلت عليها نتيجة الوعي الذى انبثق في طليعة القرن العشرين مع بحث عن نوعية التعليم الذى تتلقاه وهل هو النوع الذى يلائم المجتمع المسلم ام لا وعلى اى الاسس يجب ان يستند البرنامج التربوى للمرأة المسلمة •

لقد حاولت تسهيل الامر على القارئ فقمت بشرح جميع الايات والحقتها في نهاية الاطروحة بملحق خاص •

الفصـــل الثانـــي

دور الاســـلام فـــي المجتمـــع

سنقوم في هذا الفصل بجولة نجوس فيها المبادئ الاسلامية باحثين بشكل عام الاسلام كدين ونظرة الاسلام الى المجتمع ثم نظرة الاســلام للعلـــم ونظرة محمد الى العلم ونعود لنبحث نظرة الاسلام الى المرأة . واخيرا وليس آخرا نظرة الاسلام الى تعليم المرأة .

ومع ان هذا البحث واسع، ممتد الاطراف الا اننا سنتناول بحث الاسس النظرية حتى نستطيع تقييم المبادئ الاسلامية من ناحية التربية والمرأة ونظرة الاسلام الى تربية المرأة .

الاسلام كدين

ان الدين الاسلامي ليس مقتصرا على الامور اللاهوتية بل يتعداها الى تناول النواحي الحياتية . فهو دين كما هو ثقافة يتناول مختلف نواحي الحيـــاة البشرية حاضرها في عالمنا هذا ومستقبلها في العالم الآخره انه مزيج مـــن اللاهوت والنظام الاقتصادى والاجتماعي (١) .

ويمكننا هنا ان نشير الى رأى البروفسور جب حيث يشرح وجهة النظر هذه التي يؤيده فيها عدد كبير من الباحثين المسلمين ومنهم وغير المسلمـــين " يقول البروفسور جب (Gibb) : (٢)

---

(١) من اراد التوسع في هذه الناحية فليرجع الى :

Abraham A. Neuman. "Juadism" The Great Religion of the Modern World, ed. Edward J. Jurji (Princeton, N.J., Princeton University Press, 1947) p. 229.

(٢)

H.A.R. Gibb, Whither Islam (London, Victor Collancz Ltd. 1932) pp. 12-13.

"الاسلام اكبر بكثير من نظام لاهوتي ، انه مدنية كاملة ... فهو يتضمن مزيجا من الثقافات المتشابكة التي ترعرعت حول لب الدين او كما في معظم الحالات الحقت به مع بعض التعديلات والدين الاسلامي مزيج من الظواهر السياسية الواضحة والبناء الاجتماعي والاقتصاد في فهمه للقانون وفي نظرته الى الخلق واتجاهاته العقلانية وعاداته في التفكير والعمل ."

الاسلام والمجتمع (٣)

لا يقتصر الدين الاسلامي ، اذن كما سبق وذكرت على مجرد مجموعة من المبادئ اللاهوتية بل يتعدى ذلك الى وضع دستور للحياة وهو لا يقتصر على تنظيم علاقة الفرد بربه بل يتعدى ذلك الى تنظيم حياة الافراد بحيث يؤدي الى تأليف اجتماعي يقوم على الفضيلة والخلق المستقيم والاسلام يتخذ موقفا ايجابيا نحو المجتمع، فهو لا يدعو الافراد في تعلقهم به ان ينكروا حقهم في الحياة كما انه لا يصرح لهم بارتكاب الشرور والآثام او يستفزهم للعودة الى الطبيعة (كما يدعو روسو) بل انه يؤكد على العلاقات الاجتماعية لانه يسعى جاهدا لخلق مجتمع متماسك .

(١) وقد فصلت النصوص الحقوق والواجبات بين الاحاد بعضهم مع بعض وبين الاسرة التي تعد اللبنة الاولى في البناء ثم في المجتمعات الصغرى والكبرى حتى تضمنت التنظيم الاجتماعي للاسرة الانسانية كلها في مثل قوله تعالى :
"يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " (٤) كما نظمت النصوص مجتمع الاسرة من حيث العلاقة العلاقة بين الزوجين قال تعالى : "وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا بحكم من

---

(٣) محمد عزة دروزة — الدستور القرآني في شؤون الحياة (دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥٦) ص ٧٤ — ٨٢

(٤) سورة الحجرات : ١٣

اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما" (٥) وعلاقة الابـــاء باولادهم، وربطت ما بين الاقاربه وفصلت الحقوق والواجبات لكل فرد قبل اقاربه الاقربين وغيرهم، وتعرضت للواجبات الادبية والحقوق المادية ، فنظمت التـــوارث وتصدى القرآن لبيانه بالتفصيل . ونظمت العلاقة بين الفقير والغني في الاســـرة فاوجبت على الغني النفقة على الفقير كقوله تعالى "قل ما انفقتم من خير للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل" (٦) "وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل" (٧) .

وجعلت المودة والرحمة والتواصل اساس الحقوق والواجبات في الاســـرة وبينت انها اذا فقدت الرحمة والمودة تقطعت اوصالهم كقوله تعالى: "فهـــل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم" (٨) . وتعرضـت النصوص لتنظيم المجتمعات الصغيرة ، فنظمت فيها العلاقة بين الجيران والخلطاء فـــي مصلحة واحدة مشتركة وذكرت ان التعاون اساس الروابط الموثوقة بين اعضاء هذه المجتمعات كما جاء في الحديث الشريف "لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه" (٩) .

وتوسعت النصوص لتنظيم العلاقة بين المستظلين بظل الدولة الاسلاميـــة على اساس من العدل والتعاون والمساواة في الحقوق والواجبات بحيث يكون كل حق في مقابله واجب. واعتبرت الجميع سواء امام القانون وامام القضاء لا فضل لمسلم على غير مسلم ولا لعربي على اعجمي ولا لكبير على صغير الا بالتقوى وعملت على تهيئـــة

---

(٥) سورة النســـاء : ٣٥

(٦) سورة البقـــرة : ٢١٥

(٧) سورة الاســـراء : ٢٦

(٨) سورة محمـــد : ٢٣

(٩) متفق عليه مسلم وبخارى

الفرص لكل عامل في ارض الدولة لمزاولة نشاطه في الطاقة التي يستطيعها وتيسرها مواهبه .

وقرر الاسلام مبدأ الشورى في الحكم وجعل لكل فرد حق الرقابة على الحكومة وابداء الرأي في الشؤون العامة قال تعالى : " وامرهم شورى بينهم (١٠) وقال : وشاورهم في الامر" (١١) وقد ثبت ان النبي استشار اصحابه في امر اسارى بدر وفي غزوة الخندق وفي صلح الحديبية وعمل بما اشاروا به .

ثم ان الاسلام لم يضع نظاما خاصا للخلافة بل تركه لاختيار اهل الحل والعقد وترك للمسلمين ان يختاروا تفاصيله في قانون مكتوب او متعارف وان يراعوا البيئة التي نشأوا فيها ليضعوا ما هو الصالح لهم ولم يكن الخليفة مسؤول امام الله فقط بل امام اهل الحق والعقد وامام الشعب بكله .

وفي مجال تقدير نظرة الاسلام للمجتمع يجب ان ناخذ بعين الاعتبار علاقتين مهمتين لا تنفصلان : علاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الانسان باخيه الانسان . وفي الدين الاسلامي لا يصل الفرد الى الانعتاق ، الهدف الاسمى لكل دين ، باستقلاله عن سواه وانما يصل اليه كفرد عامل في المجتمع وهذا الانعتاق يأتي نتيجة لتوطيد العلاقة بين الخالق والمخلوق من جهة وبين المخلوق والمخلوق من جهة اخرى . فالاسلام كما نرى يدعو للفردية كما انه يدعو للجماعية في آن واحد . وهكذا يصل الفرد الى الانعتاق عن طريق الاشتراك الخير في بناء المجتمع والمجتمع يتقدم عن طريق انعتاق افراده . فالدين الاسلامي اذن يعيش ويطبق في المجتمع ويزاوله المجموع ولكي يصبح الفرد مسلما عليه ان يتقبل الاسلام دينا ونظاما اجتماعيا وان يصون هاتين الرابطتين .

---

(١٠) الشـــورى : ٣٨

(١١) آل عمـــران : ١٥٩

كما ان الاسلام لا يسمح لاتباعه بان يندمجوا بأى عمل يؤدى الى تحللهم من واجباتهم الاجتماعية حتى ولو كان هذا العمل الانقطاع للعبادة - كرهبان سانت كاترين في سينا - او اللاما في التيبت. وحتى الصلاة في الاسلام ليست صلة المخلوق بالخالق بل هي ايضا صلة المخلوق بالمخلوق واحسن مثل على ذلك صلاة الجماعة اذ تجمع المسلمين في المساجد مما يؤدى الى التعارف والتآلف ويصل بين القلوب برباط المحبة ، فيعين القوى على الضعيف، ويعود الصحيح المريض ويقف الكبير الى جانب الصغير والامير بصف المسكين فيعلمون انهم في نظر الله سواء لا يفضل بعضهم بعضا الا بالتقوى.

وصلاة الجماعة تربي حب النظام والانتظام وطاعة القائد الصالح في امره ونهيه فهم يقتدون بامامهم يكبرون اذا كبر ويركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد لا يسبقونه في قول ولا يبتدرونه بعمل كما جاء في الحديث الشريف :

"انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما . وان صلى جالسا فصلوا جلوسا ، ولا تقوموا وهو جالس - كما يفعل اهل فارس بعظمائهم" (١٢) وقوله ايضا : "اذا اتى احدكم الصلاة والامام على حال فليصنع كما يصنع الامام" (١٣) ولكن اذا اخطأ الامام فعلى المؤتم ان يصححه فاذا استمر في خطئه فله ان يترك الصلاة كما جاء في الحديث الشريف : "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (١٤) .

بل ان الاسلام يذهب الى ابعد من هذا فيحث الفرد على ان يتمتع بالخيرات التي وهبها اياه الخالق كقوله تعالى :

" يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه

---

(١٢) عن جابر في صحيح مسلم . النسائي - لاحمد في مسنده

(١٣) الترمزى والطبراني عن علي ومعاذ

(١٤) صحيح البخارى

تعبدون" (١٥)
" يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم" (١٦)

" يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا" (١٧)

واذا درسنا حياة الرسول وحياة بعض الصحابة لوجدنا فيها خير دليل يوضح تمسكهم بالروابط الاجتماعية والنظام والانتظام وطاعة القائد • انهم لم يؤمنوا بالنظريات الدينية فقط بل عاشوها ايضا • فالايمان بالاسلام يستدعي تطبيق هذا الايمان ومن اجل هذا تكررت الايات في القرآن الكريم • والحديث متناولة مختلف النواحي الاجتماعية لحياة الافراد •

وبما ان الاسلام قد هدف منذ البداية الى تغيير النظام الاجتماعي فلا يمكنه والحالة هذه ان يتجاهل اهمية العلم وهو الاداة القوية التي تساعده على تغيير القلوب كما تمكنه من السيطرة على الفوضى الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع العربي في الجاهلية •

الاسلام والعلم

يهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالعلم وكثيرا ما التجأ الى المنطق والحجة حتى يصل الى الغاية المنشودة والرسول نفسه كان يشدد على اصحابه في ضرورة المعرفة اذ قال: " من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة " (١٨) •

والقرآن نفسه خير شهادة على تلك القيمة الرفيعة التي ينظر بها الاسلام الى المعرفة والعلوم، والامام الزمخشري يفسر آيات سورة العلق: "اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم

---

(١٥) البقرة : ١٧٢
(١٦) المائدة : ٨٧
(١٧) البقرة : ١٦٨
(١٨) عن ابي الدرداء لاحمد في مسنده ولابن حبان في صحيحه •

يعلم، كلا ان الانسان ليطغى ٠٠٠٠ ان الى ربك الرجعى" (١٩)

على النحو التالي: "لقد علم الله سبحانه وتعالى الانسان ما لم يعلم وهذا شاهد على عظيم كرمه، اذ انه قد وهب عباده علم ما كانوا يجهلون • وقد اخرجهم من ظلمات الجهل الى نور المعرفة فجعلهم يدركون بركة معرفة الكتابة وعظيم نفعها، وبدون الكتابة لا يتم تحصيل اى علم من العلوم، كما يستحيل تجميع العلوم في حدود معينة وكذلك علم آثار السابقين وتدوين حكمهم وامثالهم، وبدون علم الكتابة لا يتم تسطير الكتب المقدسة وما انزله الله من وحي • ولو ان المعرفة غير متوفرة لبني الانسان لما انتظمت امور الدين والدنيا" (٢٠)

ومن الخصائص البارزة في القرآن الحاجة في الدعوة على البحث والاستقصاء • وقد قال تعالى: "وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (٢١) • وقوله تعالى: "فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" (٢٢) "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (٢٣) بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم" (٢٤)

ويدعو الاسلام الى محاربة الغوغائية والتبعية والى استعمال العقل كقوله تعالى: "قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا الله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير" (٢٥) وقوله "يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم" (٢٦) •

---

(١٩) سورة العلق : ١

(٢٠) Sayed Amir Ali, <u>op.cit.</u>, p. 361

(٢١) سورة الزمر : ٩

(٢٢) سورة النحل : ٤٣

(٢٣) سورة المجادلة : ١١

(٢٤) سورة العنكبوت : ٤٨

(٢٥) سورة سبأ : ٤٦

(٢٦) سورة الانفال : ٢٤

"يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم والاخر" (٢٧)

وفي الحديث الشريف، "لا يكن احدكم امعة اذا احسن الناس احسن واذا اساؤا اساء" (٢٨) وقوله تعالى متحدثا عن حق المسلم حتى في محاسبة الرسول لو اخطأ "ولو تقول علينا ببعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين" (٢٩)

وفي القرآن آيات كثيرة غيرها تدعو الى اعمال العقل والتفكير والتدبر وتنوه بالعلم والعلماء وبان التعليم والقراءة والكتابة هي مجالات تطبيقها . وكل هذه الايات تتصل بتربية المسلم الشخصية وتدعو الى تنمية مواهبه العقلية واعداده ليكون عضوا بصيرا مدركا متعلما متدبرا ونافعا في مجتمعه ومستعدا للانتفاع بمواهبه من جهة وما سخره الله له من مختلف القوى من جهة اخرى . قال تعالى :

"كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" (٣٠)

"ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم" (٣١) "يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله ..." (٣٢) "وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل

---

(٢٧) سورة النساء : ٥٩
(٢٨) صحيح مسلم
(٢٩) سورة الحاقة : ٤٤
(٣٠) سورة البقرة : ١٥١
(٣١) سورة البقرة : ١٥٩، ١٦٠
(٣٢) سورة البقرة : ٢٨٢

النهار، ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون" (٣٣) "وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا" (٣٤) "وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" (٣٥) "فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" (٣٦) "بل اعتبر ايمان الانسان وعبادته الله غير كاملة ما لم يصدر عن علم وادراك وبصيرة ." وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون" (٣٧) "ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم في ذلك لايات للعالمين" (٣٨) .

"الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور" (٣٩) .

"كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا اولو الالباب" (٤٠)
"امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، انما يتذكر اولو الالباب" (٤١) .

بل وان اعلى منزلة دعا اليها الاسلام في تمجيد العقل وتحصيل العلم

---

(٣٣) سورة الرعد : ٣و٤
(٣٤) سورة الاسراء : ١٢
(٣٥) سورة الانبياء : ٧
(٣٦) سورة يونس : ٩٤
(٣٧) سورة العنكبوت : ٤٣
(٣٨) سورة الروم : ٢٢
(٣٩) سورة فاطر : ٢٧و٢٨
(٤٠) ص : ٢٩
(٤١) سورة الزمر : ٩

انه قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة فيما يختص بوجود الخالق وتفرده بالوحدانية كقوله تعالى :

"شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط" (٤٢)

ولقد يقال : ان اكثر هذه الايات قد ورد في سياق الدعوة الى معرفة الله وتفهم عظمته في كونه والتجاوب مع الحق والتنويه بفضل الذين يسر الله لهم من الادراك والفهم والحكمة ما جعلهم يدركون ذلك ويكونون للناس قدوة ومرشدين ومعلمين وشهداء • غير ان صلتنا بالموضوع الذى نحن بسبيله وثيقة ايضا • حيث تنوه بالكتابة والقراءة والعلم والعلماء والعقل والبصيرة والتفكير والتدبر • وهذا التلقين نفسه يستهدف تربية المسلم وتوجيهه علميا وعقليا •

ولقد وردت كلمة العلم ومشتقاتها على اختلاف مدلولها في القرآن الكريم نحو اربعمائة مرة ، وكلمة الكتابة ومشتقاتها نحو ثلاثمائة مرة • وكلمة القراءة ومشتقاتها خمسين مرة • كما ان كلمات الفقه والفكر والتدبر والتذكر والعقل قد تكررت كثيرا وفي كل هذا دلالة على ما اولاه القرآن للمواهب العقلية والذهنية من توجيه وتلقين •

ومما يجدر التنبيه عليه انه ليس في القرآن ولا في السنة اى تحديد لمجال العلم والتعليم ولا اى تخصيص ومن الخطأ ان يظن ان الاسلام لا يدعو الى الاغتراف من مناهل العلوم الطبيعية العصرية فقد نبه اهله وذويه الى كل ما خلق الله من شيء في السماء والارض • وموضوعات العلوم المختلفة لا تخرج عن هذه الدائرة بالاضافة الى ذلك جعل مناطه في مستقبل هذا العالم الـ ـــ ازدياد المعرفة بهذه الحقائق "سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين

---

(٤٢) آل عمـــران : ١٨

لهم انه الحق" (٤٣) .

وقد خاطب القرآن المرأة كما خاطب الرجل وفرض عليها نفس الواجبات واعطاها معظم الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . فالمرأة اذن ، مدعوة الى اتباع ما تدعو اليه الايات من التفكير والتعقل والاقبال على تلقي العلم والعلماء والعقل والبصيرة على الرجل بل دعا المرأة الى المشاركة بكل وسيلة تمكنها من القيام بنصيبها واداء واجبها في الحياة على الوجه الاكمل .

نظرة محمد الى العلم

ولقد ذكر كل من طوطح واميرعلي والغزالي وشلبي والكرمي واحاديث كثيرة للرسول تدور حول اهمية طلب العلم (٤٤) فقد كان العالم العربي ضمن حدود شبه الجزيرة العربية غفلا لم يبد اى ازدهار ثقافي او ما يدل على ذلك . وكان الشعر والخطابة والاسترسال بالنجوم هي فروع المعرفة المتوفرة لدى عرب الجاهلية .

وجاء محمد ... فكانت لكلماته قوة دافعة وزخم عظيم ايقظ قومه من سباتهم وفي خلال جيل واحد ، اى اثناء حياة الرسول نفسه ، تشكلت نواة نظام ثقافي ومدارس فكرية في المدينة وقد اخذت هذه البذور المباركة تنمو وتزدهر حتى

---

(٤٣) فصلت : ٥٣

(٤٤) Sayed Amir Ali, op.cit.
Khalil Totah, The contribution of the Arabs to Education, (New York City, Teachers College, Columbia University 1942) p. 4.
Ahmad Shalaby, History of Muslim Education, (Beirut, Dar al-Kashaf, 1954.
الغزالي — احياء علوم الدين ، باب العلم (القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩)
الكرمي — اصول الدين الاسلامي (ايران — قوم — ١٣٣٨ هجرية)

اتت ثمارها على شكل جامعات ناشطة في بغداد وسالرنو والقاهرة ، بل في قرطبة من بلاد الاندلس . فكان محمد في المدينة يعظ قومه ويشرح لهم خير طريقة لتغذية الروح : "فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض" (٤٥)

"تفقهوا قبل ان تسودوا" (٤٦) "ان لم يكن العلماء اولياء فليس لله من ولي" (٤٧) "فضل العالم على غيره كفضل النبي على امته" (٤٨) ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" (٤٩) "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة" (٥٠) وقال محمد : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (٥١) وقال : "ان مداد العارف اكرم عند ربه من دم الشهيد" (٥٢) وسماع احاديث العلماء في نظر محمد والتبصر بالقلب في امور المعرفة خير من مزاولة العبادات بل خير من عتق مئة عبد."

"فضل العلم احب الي من فضل العبادة" (٥٣) . "مجالسة العلماء عبادة" (٥٤) . "موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد" (٥٥)

"نوم على علم خير من صلاة على جهل" (٥٦) . واذا مررتم برياض الجنة

---

(٤٥) عن عبد الرحمن بن عوف لابي العلي في مسنده

(٤٦) رواه البيهقي من قول عمر وعلقه البخارى

(٤٧) عن انس للخطيب

(٤٨) عن انس للخطيب

(٤٩) مسلم عن ابن سيرين

(٥٠) الامام احمد في مسنده

(٥١) عن انس للعيقلي في الضعفاء ، لابن عدى في الكامل والبيهقي في شعب الايمان وابن البار في العلم

(٥٢) صحيح البخارى

(٥٣) للطبرى في الاوسط ـ عن حذيفة ـ للحاكم ـ عن سعد

(٥٤) للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس

(٥٥) للطبراني عن ابي الورداء

(٥٦) لابي نعيم في الحلية عن سلمان

فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس العلم" (٥٧) . "علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه " (٥٨) "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيرا او ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر الى ما ليس له " (٥٩) . "طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله عزوجل" (٦٠) "خيار امتي علماؤها ، وخير علمائها رحماؤها" (٦١) . "العلم حياة الاسلام وعماد الايمان" . "ومن علم علما اثم الله له اجره" . "ومن تعلم فعمل ، علمه الله ما لم يعلم" (٦٢) . "العلم دين . والصلاة دين . فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فانكم تسألون يوم القيامة" (٦٣) "العلم ميراثي وميراث الانبياء قبلي" (٦٤) "لكل شيء طريق وطريق الجنة العلم" (٦٥) "تناصحوا في العلم . فان خيانة احدكم في علمه اشد من خيانته في ماله وان الله سائلكم يوم القيامة" (٦٦) "طلب العلم افضل عند الله من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله تعالى" (٦٧)

وقد بدأ انتشار العلم بين المسلمين في المدينة عندما اعلن الرسول

---

(٥٧) للطبراني في الكبير عن ابن عباس
(٥٨) (ابن عساكر) عن ابن عمر
(٥٩) (احمد في مسنده) عن ابي هريرة للطبراني عن سهيل سعد بنحوه
(٦٠) للديلمي في مسند الفردوس
(٦١) للخطيب وابي نعيم في الحلية ـ عن ابن هريرة ـ عن ابن عمر
(٦٢) ابو الشيخ عن ابن عباس
(٦٣) الديلمي في مسند الفردوس ـ عن ابن عمر
(٦٤) للديلمي في مسند الفردوس عن ام هاني
(٦٥) للديلمي في مسند الفردوس ـ عن ابن عمر
(٦٦) للطبراني في الكبير ـ عن ابن عباس
(٦٧) للطبراني في الكبير ـ وابن عبد البر عن انس

بعد معركة بدر ان كل اسير يستطيع ان يحصل على حريته اذا علم بعض المسلمين القراءة والكتابة (٦٨) •

لست اراني في حاجة هنا لان اورد تفاصيل النشاط التربوى الذى اخذ مكانا في فترات الاسلام الاولى وعصوره الوسطى • لقد تناول هذا الموضوع بالتفصيل كتاب كثيرون منهم تريتون وفرخ وارنولد واميرعلي •

فقد افرد تريتون (٦٩) جزءاً كاملا اشار فيه الى المواد التي يمكن الاستعانة بها في دراسة الاساليب التربوية للمسلمين في فترة عصور الاسلام الوسطى • اما جولد زيهر فقد شارك في كتابة مقال واضح حول هذا الموضوع في موسوعة الدين والاخلاق (٧٠) ودراسة هذه الكتابات تؤكد حقيقة جلية ، ان الاسلام يشجع العلم لا من الناحية النظرية فقط وانما من الناحية العملية ايضا كما يستدل من التطورات التي تلت فترة الاسلام الاولى • فالعلم اذن ليس محرما في الاسلام وليس العلم مقصورا على طبقة معينة من المجتمع انه في متناول كل فرد بل هو فرض على كل مسلم ومسلمة •

والتعليم عند المسلمين بدأ بقوة منذ فجر الاسلام • فقد اثبتت النصوص ان الرسول وخلفاءه الراشدين اهتموا بالتعليم ونشر مبادىء الكتابة وقواعد الدراسة • ولما استولى بنوامية على الخلافة زادت عناية المسلمين بالتعليم وابتدأ الناس بدراسة القرآن والحديث والفقه والادب وعلوم الاوائل (٧١) ولما

---

(٦٨) "Madrassa" - Shorter Encyclopedia of Islam, p.300

(٦٩) A.S. Tritton, Materials on Muslim Education, London Luzac and Co., 1958).

(٧٠) Goldziher, "Muslim Education" Encyclopedia of Religion and Ethics, (Vol. V, 199).

(٧١) اننا مدينون بهذا الحديث لكل من محمد اسعد طلس في كتابه التربية والتعليم في الاسلام واحمد شلبي في كتابه تاريخ التربية الاسلامية (دار الكشاف للنشر والطباعة ، بيروت ، ١٩٥٤)

تولى الخلافة بنو العباس بدأوا بتأسيس بعض المؤسسات الثقافية كدور الكتب ودور الحكمة التي كان يتولى امرها بعض كبار العلماء كالفيلسوف الترجمان "سلم" الذى اخذ ينقب عن مهرة التراجمة وكبار الفلاسفة ويعهد اليهم بالعمل معه لوضع اسس الحركة الفلسفية المنظمة وما عمله "سلم" يمكن ان يعتبر نواة للحركة العلميـــة الرسمية (٧٢) .

وفيما يلي عرضا سريعا للمؤسسات التعليمية المختلفة عند المسلمـــين (٧٣)

امكنة التعليم قبل انتشار المدارس

المساجد

كانت المساجد والكتاتيب وبعض الاماكن العامة والخاصة هي المؤسسات التعليمية الاولية عند العرب في عهد الرسول وخلفائه الراشدين وكان العلمـــاء والمتعلمون يتذاكرون في المجلس النبوى بالمدينة والمسجد الحرام بمكه ومسجـــد قباء (٧٤) والمساجد الاخرى في العالم الاسلامي حيث كانت تقوم حلقات العلـــم ومجالس القصاص . ويقال ان اول من قص في المسجد النبوى هو الصحابي العالم تميم الدارى (٧٥) ورووا ان سليمان بن عتر التجيبي قاضي مصر سنة ٣٨ هـ كـان يقص على الناس في مسجد عمرو بن العاص بالاضافة الى وظيفة القضاء (٧٦) وكان التعليم

---

(٧٢) محمد اسعد طلس التربية والتعليم في الاسلام (دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٧) ص ٤٨ عن معجم الادباء ، لياقوت الحموى الجزء الرابع صفحة ١٦٥ .

(٧٣) نفس المصدر صفحة ٥٢ (عن الفهرست لابن النديم الطبعة المصرية ص ٢٧٤

(٧٤) احمد شلبي ، المصدر السابق صفحة ٨٦ عن الاحياء ٢ ٥

(٧٥) محمد طلس ، المصدر السابق ص ٦٢ (عن دائرة المعارف الاسلامية ٤/ ٦٧٦)

(٧٦) " " نفس المصدر عن خطط المقريزى ٤ ـ ٨

يماشي القصص وكان لهؤلاء القصاصين كراسي يجلسون عليها ويشرفون منها على طلاب الفقه والحديث. وهكذا نستطيع ان نقول ان "اصحاب الكراسي" هم اول طبقة للمعلمين في الاسلام. اذ كان نشاطهم عاما في الديار الاسلامية في المغرب والمشرق منذ ايام بني امية (في جامع دمشق) الى العصر العباسي (في جامع المنصور) وفي ايام الفاطميين حيث كانوا يقومون بتعليم الناس في مساجد القاهرة وبخاصة مسجد عمرو ومسجد ابن طولون (٧٧) والازهر.

الاسواق العامة

اما الاسواق العامة فامرها في التعليم اشهر من ان يذكر وقد كان هذا الامر معروفا في الجاهلية. واخبار اسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز والطائف وغيرها منثورة في كتب الادب والتاريخ والسيرة وقد لعبت هذه الاسواق في الجاهلية وصدر الاسلام بل وفي العصر الاموى دورا هاما في نشر العلم وحفظ التراث الفكرى والعقلي والادبي في الجاهلية والاسلام ومن اشهر مجالس الاماكن العامة مجالس المريد وحلقاته في البصرة (٧٨).

القصور والدور

ومع خلافة بني امية اضيف لمواطن العلم موطن جديد هو قصور الخلفاء وكبار الامراء ومنازل الاعيان والوجوه وكان لتلك القصور والدور فضل في نشر العلم وتسهيل سبل تعليمه ونسج العباسيون على منوال الامويين وفتحوا قصورهم للعلم (٧٩).

---

(٧٧) محمد طلس نفس المصدر عن خطط المقريزى ٤ ـ ٨

(٧٨) محمد طلس المصدر السابق ص ٦٥ عن تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ ـ ٦٦٦ وحياة الحيوان الكبرى للدميرى ١ ـ ٩٨

(٧٩) طلس نفس المصدر ص ٤٥

وخطا الفاطميون في هذا المجال خطوات اوسع فأنشأوا في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها اولاد علية القوم وسراتهم ويسير المؤدبون في تثقيف هؤلاء الصبيان على منهج خاص يرمي الى اعدادهم لخدمة الخلفاء وشغل المناصب الرئيسية في دولة الخلافة (٨٠) •

ومن اهم هذه الصالونات العلمية صالون الرشيد والمأمون والي جعفر المنصور في الخلافة العباسية ويقول (Khuda Bukush) (ان هذه القصور وما فيها من مجالس في ذلك العهد كانت تقوم مقام الجامعات اليوم) (٨١) كقصر سيف الدولة الحمداني ايام الدولة الحمدانية (٨٢) وقصر الوزير نظام الملك في دولة السلاجقة الاولى (٨٣) وقصر كافور الاخشيدى في عهد الاخشيديين (٨٤) والملك الصالح من الخلفاء الامويين • وقد ظل نشاط الصالونات الادبية واضحا حتى عهد المماليك (٨٥) •

حوانيت الوراقين

هذه الدكاكين فتحت في الاصل لاعمال تجارية ثم انقلبت الى مسارح للثقافة والحوار العلمي عندما امها المثقفون والادباء واتخذوا منها مكانا لاجتماعاتهم وابحاثهم • وقد ظهرت هذه الحوانيت منذ مطلع الدولة العباسية (٨٦) ثم انتشرت في العواصم والبلدان المختلفة في العالم الاسلامي وحفلت كل مدينة بل كل محلة بعدد وافر منها (٨٧) •

---

(٨٠) احمد شلبي المصدر السابق عن المقريزى ١ ــ ٤٤٣ ــ ٤٤٤

(٨١) احمد امين ظهر الاسلام (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٣٢) ص ٢٨٧

(٨٢) شلبي المصدر السابق ص ٧٣

(٨٣) شلبي نفس المصدر ص ٧٤ عن طبقات لشافعه ٣ ــ ١٣٥ ــ ١٤٥

(٨٤) شلبي نفس المصدر ص ٧٥ عن ابن تجزى برادى النجوم الزاهرة ٤ : ٦

(٨٥) نفس المصدر ص ٤١ عن (Hitt, History of the Arabs, p.414

(٨٦) نفس المصدر ص ٤١

(٨٧) نفس المصدر ص ٤٦

منازل العلماء

جرى التعليم الاسلامي بالمنزل في عهد الاسلام المبكر وقبل نشأة المساجد فقد اتخذ الرسول عليه السلام دار الارقم بن ابي الارقم مركزا يلتقي فيه باصحابه ومن تبعه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد (٨٨) وكذلك كان الرسول يجلس بمنزله بمكه .

ومن اهم المنازل منزل الرئيس ابن سينا ومنزل ابو سليمان السجستاني في القرن الرابع للهجرة ودار الامام الغزالي (٥٠٤ هـ) ومنزل يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي - والسلفي احمد بن محمد ابو طاهر (٥٧٦ هـ) .

الخانقاه

كلمة فارسية معناها البيت واول خانقاه عملت بمصر في القرن الرابع الهجرى واصلها بيت للدراويش والصوفية والفقراء ثم اخذوا يعطون في تلك الخوانق دروسا في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث وكثيرا ما كانوا يلحقون بالخوانيق كتاتيب ليتعلم اطفال المسلمين القرآن والكتابة والقراءة مع تجويد الخط العربي (٨٩) .

الرباط

لقد اطلق الاسم على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الاسلامية وقرب القصور يقيم فيها المجاهدون (المرابطون) الذين رابطوا في هذه الامكنة للدفاع عن دار الاسلام بسيوفهم ، وقد كانت الاربطة منتشرة في

---

(٨٨) شلبي نفس المصدر ص ٤٦ - ٥٠

(٨٩) طلس - المصدر السابق ص ١١ عن الخطط المقريزى ٤ - ١٧٦

ايام بني امية وبني العباس بين ديار الاسلام وديار الحرب (٩٠) وكما جعلوا في الخانقاه شيخا ومدرسين وقراء لذلك جعلوا في الرباط ومن اشهر الربط التي كانت فيها حلقات لتعليم القراءة والكتابة والدين والتصوف رباط الاثار الذى عمره "الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد" فقد قرر فيه دروسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار (٩١) وقد كان الربط مأوى يلجأ اليه العلماء والرحالون وطلاب العلم الذين ينتقلون في ارجاء العالم الاسلامي طلبا للحديث النبوى اوعلوم الدين والعربية

الـزاويـة

هي كالرباط والخانقاه الا انها اصغر في الغالب وهي اكثر ما تكون في الصحارى والامكنة الخالية من السكان وربما اطلقت على ناحية من نواحي المساجد الكبرى تقام فيها حلقات العلم .

فقد كان في جامع عمر بن العاص في مصر عدة زوايا منها زاوية الامام الشافعي . يقال انه درّس فيها الفقه فعرفت به . والزاوية المجدية والزاوية الصاحبية ومنها الزاوية الكمالية . ومما يجدر الاشارة اليه ان المسلمين قد خصصوا بعض الخوانق والربط والزوايا للنساء خاصة . يقمن فيها ويتلقين بعض الدروس في الدين من القرآن والحديث والفقه والادب من شعر ونثر . ومن اشهر هذه الربط النسوية رباط البغدادية الذى بنته السيدة الجليلة تذكار باى ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ . قال المقريزى وآخر من ادركنا

---

(٩٠) طلس المصدر السابق ص ١١٢ عن الخطط المقريزى ٤ — ٢٨٣ — ٢٨٥

(٩١) طلس المصدر السابق ص ١١٢

(٩٢) طلس المصدر السابق ص ١٥٥ عن الخطط المقريزى ٤ — ٢٩٦

فيه الشيخة الصالحة ام زينب فاطمة بنت عباس البغدادى (٧٩٦) وكانت فقيهة وافرة العلم انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر . وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس (٩٣) .

البيمارستان

كلمة فارسية معناها المستشفى ثم خصصت بمستشفى المجاذيب واول من عمل البيمارستان في الاسلام الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ وجعل فيها الاطباء واجرى عليهم الجرايات ثم الحق بجانبها مكان التدريس ليكون الطلاب في جو هادئ وإذا ما اراد الاستاذ تدريسهم واجراء التطبيق العملي نقلهم من المدرسة الى البيمارستان او العكس ومن عمل في ذلك الخليفة المستنصر العباسي فانه جعل في مدرسة المستنصرية العظمى معهدا لتدريس الطب والصيدلة والى جانبه شاد البيمارستان ليطبق الطلاب علومهم النظرية على الحالات المرضية في ذلك المستشفى وكذلك فعل الملك المنصور قلاوون الالفي الصالحي فقد بنى البيمارستان الكبير المنصورى في القاهرة سنة ٦٨٢ وجعل فيه قبة ومدرسة وبيمارستان وكذلك فعل صلاح الدين الايوبي عام ٥٧٧ (٩٤) والمستشفيات التي كانت فيها حلقات لتدريس الطب كثيرة منها البيمارستان النورى الكبير الذى بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٩ (٩٥) .

ويقال ان الخليفة المقتدر هو اول من فرض على من يريد انتحال صفة التطبيب ان يؤدى امتحانا حتى ينال اجازة (٩٦)

---

(٩٣) طلس نفس المصدر ص ١٠٥ ـ ١١٦

(٩٤) طلس نفس المصدر ص ١١٧ ـ ١١٨

(٩٥) طلس نفس المصدر ص ١١٩ عن ابن كثير عن تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٤٢

(٩٦) نفس المصدر ص ١٢٠

يقول الدكتور طلس مقتطفا قول العلامة المستشرق البروفسور وستفيلد (٩٧)

"اقدم النصوص التاريخية التي ورد فيها ذكر المدرسة تذكر المدرسة التي شيدها الامام ابو حاتم البستي سنة ٣٤٥ المحدث المشهور في بلده بست وجعل فيها خزانة كتب وغرفا للطلاب وخصص مبالغ وارزاقا للغرباء من طلاب العلم فيها" (٩٨)

وهنالك المدرسة التي بناها الشافعيون بنيسابور باسم الامام النيسابورى ابي علي الحسين بن علي الحافظ الكبير سنة ٣٤٩ (٩٩) والمدرسة التي اسسها الامام المحدث الشيخ ابو علي الحسيني سنة ٣٩٣ وقد بلغ عدد طلابها الف طالب من شتى بقاع الارض (١٠٠) . والمدرستان اللتان شادهما الامام الاسماعيلي في بغداد سنة ٣٩٦ ومدرسة الامام الفقيه الشافعي ابا اسحق الاسفرائيني ابراهم بن محمد ابراهيم سنة ٤١٨ والامام ابن فورك محمد بن الحسن الانصارى سنة ٤٠٦ . (١٠١)

ويضيف الدكتور طلس مقتطفا قول السبكي « ان نظام الملك ليس اول من بنى المدارس في الاسلام فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك والسعيدية بنيسابور ايضا . ويقول طلس "ان المدرسة كانت موجودة ومعروفة في القرن الرابع وانها كانت مكانا خاصا بالتدريس غير (المساجد)

---

(٩٧) اسعد طلس المصدر السابق ص ١٢٢ عن Wustenfield Imam - Esch-Schafee II, 163 ومعجم البلدان لياقوت ٢ ـ ١٧١

(٩٨) اسعد طلس نفس المصدر ص ١٢٣ عن طبقات الشافعية ٢ ـ ٢١٥

(٩٩) اسعد طلس نفس المصدر ص ١٢٣ عن كتاب وستنفلد السابق ٢ـ١٥٠، ١٦٦

(١٠٠) اسعد طلس نفس المصدر ص ١٢٣ عن كتاب وستنفلد السابق ٢ـ٢٠٣

(١٠١) اسعد طلس نفس المصدر ص ١٢٣ عن وفيات الاعيان ـ ٦٢١

(والكتاب) (ودار الحكمة) (ودار العلم) ويظن انها كانت اماكن خاصة بالتعليم والمعلمين وربما كانت فيها غرف يسكنها الطلاب الغرباء" وان هذا النوع من المعاهد كان منتشرا في العالم الاسلامي وفي الشرق وبنيسابور بصورة خاصة ٠

اما في مصر والمغرب والاندلس فلم نعثر على نصوص تفيد ان شيئا من هذه المعاهد كان موجودا قبل العصر الايوبي ٠ اما الجامع الازهر والمعاهد العلمية الاخرى التي شادها الفاطميون بجامع عمرو بن العاص والجامع الطولوني في مصر ودار الحكمة ودار العلم في بغداد وطرابلس فلم تكن مدارس بالمعنى الاصطلاحي ٠ فالمدرسة اذن بمعناها الاصطلاحي المعروف وجدت في الشرق اولا ولم ينتظم امرها وتتخذ طريقها الثقافي الواسع الا حين اسس نظام الملك الطوسي مدارسه في بغداد وغيرها من عواصم الدولة الاسلامية التابعة للسلطة السلجوقية في عهده ٠ويعتبر عمل نظام الملك هذا اول عمل رسمي قامت به الدولة الاسلامية لتنظيم الدراسة وترتيبها بتهيئة الاسباب وايجاد المواد الضرورية ، واعداد الرواتب والنفقات للاساتذة والطلاب وتثبيت بعض التقاليد فيما يتعلق بانظمة الدروس وتقاليد العلم والتأليف" (١٠٣) ٠

يقول الدكتور شلبي (١٠٤) مقتطفا ابو شامه (١٠٥) : " ومدارس نظام الملك في العالم مشهورة لم تخل بلد من شيء منها" ٠

ثم يضيف : " وفي ابن الاثير وابن الجوزى نصوص متشابهة وكلها تدل بوضوح على العدد الضخم التي بناها نظام الملك وامدها بالاساتذة والاموال والكتب وكان السبكي المصدر الوحيد الذى لم يكتف بهذه العبارات العامة ، بل حدد بلادا ذكر ان نظام الملك انشأ في كل منها مدرسة عظيمة وتلك البلاد هي :

---

(١٠٣) نفس المصدر ص ١٢٤ ـ ١٢٦

(١٠٤) احمد شلبي ـ المصدر السابق ص ١٠١ ـ ١٠٢

(١٠٥) احمد شلبي ـ نفس المصدر ص ١٠١ عن الروضتين ١ ، ٢٥

بغداد — بلخ نيسابور — هرات — اصفهان — البصرة — مرو آمل — الموصل • ويختم السبكي حديثه بعبارة مشابهة لعبارات المؤرخين الآخرين حيث يقول : ويقال ان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة " (١٠٦)

وقد كانت نظامية بغداد اولى المدارس النظامية واهمها، وقد بدأ العمل فيها سنة ٤٥٧ هـ وتم ٤٥٩ هـ ودرس فيها الشيخ ابو اسحق الشيرازي (١٠٧)

وهنالك مدارس نور الدين الزنكي وهو اول من انشأ مدرسة في دمشق، وكانت مدارسه منتشرة في مدن سوريا وقراها (١٠٨) واهمها المدرسة النورية الكبرى (١٠٩) وفيما يلي بعض اسماء المدارس في ذلك العهد : (١١٠)

<u>مدارس دمشق :</u> دار النورية الحديثة ، الصلاحية ، العمادية ، الكلاسة ، النورية الكبرى، النورية الصغرى في دمشق •

<u>مدارس حلب :</u> الحلوية ، العصرونية ، النورية الشعيبية ، وبنى مدرستان بحمص ومدرستان بحماه ومدرسة ببعلبك • وامتاز العهد الايوبي بكثرة المدارس فقد إنتشرت مدارسهم في مصر، وبيت المقدس، ودمشق ، كما ساهمت المرأة مساهمة فعلية في انشائها ومن اهم المدارس التي انشأتها النساء : (١١١) المدرسة العاشورية — بنتها في مصر زوجة امير اسمها عاشوراء بنت ساروخ (١١٢)

---

(١٠٦) احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> ص ١٠٢ عن طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ١٣٧

(١٠٧) احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> عن تاريخ آل سلجوق ص ٣٣

(١٠٨) احمد شلبي <u>المصدر السابق</u> ص ١٠٢ عن الروضتين ١ : ١٤

(١٠٩) من اراد معرفة التفاصيل عن هذه المدرسة فليرجع الى : احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> ص ١٠٨ — ١١٥

(١١٠) احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> ص ١٠٢

(١١١) احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> ص ١٠٥

(١١٢) احمد شلبي <u>نفس المصدر</u> ص ١٠٥ عن الخطط للمقريزي ٢ : ٣٦٨

المدرسة القطبية ـ بنتها في مصر الاميرة تصمت الدين بنت العادل (١١٣) ٠
المدرسة الصاحبية ـ بنتها في دمشق الاميرة الايوبية ربيعة بنت نجم الدين (١١٤) ٠
المدرسة العذرونية ـ بنتها في دمشق الاميرة الايوبية عذراء بنت فور الدولة (١١٥) ٠
المدرسة الشامية البرانية ـ بنتها في دمشق الاميرة الايوبية ست الشام بنت نجم الدين (١١٦) ٠
المدرسة المروانية ـ بنتها في دمشق زوجة المعظم خاتون عزيزة (١١٧) ٠
المدرسة الشامية الجوانية ـ بنتها في دمشق الاميرة الايوبية ست الشام بنت نجم الدين (١١٨) ٠
المدرسة الاتاباكية ـ بنتها في دمشق زوجة الاشرف خاتون بنت عز الدين (١١٩) ٠
المدرسة الدماغية ـ بنتها في دمشق زوجة شجاع الدين بن الدماغ (١٢٠) ٠

الاسلام والمرأة

عندما قدم محمد الاسلام الى البشر كان مركز المرأة ، لا في المجتمع العربي فحسب ، بل في مختلف انحاء العالم المتمدن منه وغير المتمدن ، لا يزيد عن قطعة من الاثاث او الزينة وكان يحيط بالعرب دولتا الفرس والروم ولهما ميراث

---

(١١٣) احمد شلبي نفس المصدر ص ١٠٥ عن الخطط للمقريزى ٢ : ٣٦٨
(١١٤) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ٢ : ٢٩١
(١١٥) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ١ : ٣٧٣
(١١٦) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ١ : ٢٧٧
(١١٧) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ١ : ٥٩٢
(١١٨) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ١ : ٣٠١
(١١٩) احمد شلبي نفس المصدر عن النعيمي ـ ١ : ١٢٩
(١٢٠) احمد شلبي نفس المصدر ص ١٠٦ عن النعيمي ـ ١ : ٢٣٦

زاخر من الفلسفة والحكمة •

وكان القانون الروماني لا يعتبر المرأة ذات شخصية مستقلة ذات كيان مستقل بل اعتبرها ومالها في حكم المملوكة للرجل، لا يسأل عما يفعل بشأنها حتى ان عقد الزواج عند الرومان كان عقد رق بالنسبة للمرأة وان المرأة تبقى قبل الزواج في رق ابيها، فهي في كل حياتها تعيش عيشة الرقيق، تنتقل من الاب الى رق الزوج • نرى من هنا ان العلاقة بين الرجل والمرأة لم تكن قائمة على اسس من الواجبات المتبادلة بل كان للرجل الحقوق كلها وعلى المرأة الواجبات كلها (١٢١)

"واما بين الاثينيين وهم ارقى الشعوب وارفعها ثقافة فقد كانت المرأة تعتبر مجرد متاع يباع ويشرى بل وينقل للآخرين كانت تعتبر شرا لا بد منه للعناية بالبيت وانجاب الاطفال وكان للاثينيين الحرية الكاملة في ان يقتنوا اى عدد من النساء" (١٢٢)

"وبين الاسبارطيين وان لم يك يحق للرجل ان يتزوج اكثر من واحدة الا ان النساء كن يستطعن اقتناء اكثر من زوج واحد" (١٢٣)

"ولم تك حال المرأة بين قبائل العرب الرحل او اليهود بأحسن حال من زميلاتها فقد كانت منزلتها غاية في الحطة • فالفتاة اليهودية مثلا كانت تعتبر في منزلة الخادمة في بيت ابيها الذى كان يستطيع حتى بيعها اذا كانت قاصرا، وفي حال وفاة الوالد كان باستطاعة الاخوة ان يتصرفوا بها او يتخلصوا منها حسب رغبتهم او ارادتهم"

---

(١٢١) Sayed Amir Ali, op.cit., p.223

(١٢٢) Dollinger, The Gentile and the Jew, Vol. II, pp.223-238. Quoted by Amir Ali, op.cit.

(١٢٣) Dollinger, The Gentile and the Jew, Vol. II, pp. 227. Quoted by Amir Ali, op.cit.

"ولم تك الفتاة اليهودية ترث شيئا الا في حال عدم وجود ورثة ذكور وكذلك بين عرب القبائل من عباد الاوثان الذين تأثروا بحضارالـــــدول المحيطة بهم، كانت المرأة تعتبر مجرد متاع منقول وجزء من ممتلكـــــات زوجها او ابيها" (١٢٤)

وكان للرجل ان يتزوج بأي عدد، فمنهم من كان يتزوج عشرة ، ومنهم من كان يتزوج اكثر من ذلك (١٢٥) .

ولم تكن الزوجة ذات كرامة في اسرة زوجها، حتى اذا ما مات الرجـــل في بعض القبائل عن اولاد كبار من غير زوجته التي مات عنها ورثها اكبرهم كزوجـــة من غير عقد ، واستمر ذلك المنحى حتى حرمه الاسلام تحت اسم "نكاح المقـــت" ونزل قوله تعالى :

"ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا" (١٢٦)

ولم تك المرأة قبل الاسلام ذات شأن في الكيان العربي الا في بعض كبار القبائل وهذا الشأن كان يقتصر على النساء اللواتي كن ينتمين الى بيوت رفيعـــــة المقام كما كان الشأن في بعض نساء قريش كهند امرأة ابي سفيان والسيدة ام المؤمنين خديجة بن خويلد زوج النبي التي كانت لها مكانتها قبل الاسلام وقبـــل الزواج من النبي .

اما في غير هذه الاحوال فلم يكن للمرأة اعتبار، وكانت بعض القبائـــل تئد البنات خشية العار، وكانت حالهم كما ذكر القرآن الكريم عنهم :

"واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم

---

(١٢٤) Amir Ali, op.cit., p.224

(١٢٥) Ibid.

(١٢٦) النســـاء ، ٢١

من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون" (١٢٧)

ولم تكن المرأة تأخذ ميراثا بل كان الميراث للذكوره اذ بالذكور تكون النصرة ، ولم تكن قرابة الام ذات اعتباره بل كان الاعتبار كله لقرابة الاب .

ولكن من الانصاف ان نقرر ان المرأة لم تكن في بيت الرجل كالامة بل كانت اعلى من ذلك اذ بينما كان الرجل الاخ او الزوج اليهودى يستطيع ان يبيع اخته او زوجه كما قلت سابقا ، اذا اقتضت الحاجة ذلك ، كان العرب يحصون شرف امهاتهم وقريباتهم ولا يتورعون عن اثارة حرب قد تطول سنوات في سبيل كرامة قريباتهم وقد وردت اشارة الى هذه المعلقات المشهورة ومنها معلقة عمرو بن كلثوم الذى قتل فيها ابن المرأة التي حاولت اهانة امه والتي قال في طليعتها :

الا هبي بصحنك واصبحينا

ولا تبقي خمور الاندرينا

وقد تجاوزت المرأة موطن الرعاية الى ما هو اسمى واجل فقد كان حسب الهارب المطلوب ان يعقد رداءه بطنب (اى حبل الخباء) خبائها فيعود آمنا ليس عليه من سبيل . وكذلك كانت ساحتها حرما آمناء اليه يفزع الخائفون وببابه يتدافع العافون ويهتدى المعوزون .

وفي حادثة سبيعة ابنة عبد شمس بن عبد مناف زوجة مسعود بن مالك الثقفي في حرب الفجار الاكبر ـ بين كنانة وقيس يوم ان انكشفت قيس وغلب على امره مسعود اذ قال لها ابن اخيها : " من تمسك باطناب خبائك فهو آمن ، ومن دار حول خبائك فهو آمن" . فلم يبق قيسي الا اعتصم بها ودار حول خبائها . (١٢٨)

---

(١٢٧) النحل : ٥٨ و ٥٩

(١٢٨) الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين ـ الاغاني الجزء التاسع (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٧) .

" واستمر هذا التقدير للمرأة في الاسلام فلقد اجارت ام هاني ابنة
ابي طالب على الرغم من اخيها علي عدو الدودا لابن عمها رسول الله .
فما كان من الرسول الا ان قال : اجرنا من اجرت يا ام هاني " (١٢٩)

ولكن مع كل هذا لم تكن المرأة تعامل كفرد مسؤول في المجتمع لا في الجزيرة العربية ولا في سواها لقد كانت تحترم كأم وتعتبر كحبيبة ، وتقدر كجارية ويتشرف لاقتنائها الرجل كما يتشرف لاقتناء قطعة من الاثاث تجلب البهجة والسرور .

واتى الدين الاسلامي يعيد للمرأة اعتبارها وشدد محمد في منـــع الزواج المشروط (١٣٠) وحدد الزواج المؤقت الذى كان مسموحا به حتى العام الثالث من الهجرة حيث منعه النبي منعا باتا (١٣١) .

لقد عالج اميرعلي هذا الموضوع وشرحه بتوسع اذ قال ان اكبر غلطـــة اقترفها المؤرخون هي اعتبارهم ان محمد هو الذى قدم فكرة تعدد الزوجـــات بينما وجد محمد العادة سائدة لا بين قومه فحسب بل بين قوام البلدان المجاورة (١٣٢)

---

(١٢٩) اعلام النساء — الجزء الثالث ص ١٢١

(١٣٠) زواج التبادل

(١٣١) لا زال بعض الشيعة يعتبر الزواج المؤقت مسموحا به ويطلقون عليه اسم " زواج المتعة "

(١٣٢) Mohammed found poligamy practised, not only among his own people, but amongst the people of the neighbouring countries where it assumed some of its most degrading aspects. The laws of the Christian Empire had indeed tried to correct the evil, but without avail. Polygamy continued to flourish unchecked, and the wretched women with the exception of the first wife, selected according to priority of time, laboured under severe disabilities.
Sayed Amir Ali, op.cit., p. 225

St. Augustine himself seems to have observed in it no intrinsic immorality or sinfulness, and declared that polygamy was not a crime where it was the legal institution of a country. The German reformers as Hallm points out even so late as the sixteenth century admitted the validity of a second and third marriage contemporaneously with the first, in default of issue and other similar causes.
Sayed Amir Ali, op.cit., p. 227.

لقد اباح الاسلام تعداد الزوجات الى اربع لانه اعتبر هذا ضرورة من الضرورات اذا كان الاسلام قد امر بالجهاد والجهاد عادة يقضي على الرجال دون النساء، فنتج عن ذلك كثرة عدد النساء عن الرجال واقتضى ذلك اختصاص عدد من النساء عن الرجال واقتضى ذلك اختصاص عدد من النساء برجل واحد وهكذا كان اباحة تعدد الزوجات ليكفل الرجل يتامى المسلمين واياماهم .

" .... وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ." (١٣٣)

" وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ." (١٣٤)

ومع ان الاسلام قيد تعدد الزوجات باربع الا ان الاية التي قد الحقت حالا باية تفيد معنى المنع في حالة العجز عن العدل فقد قال تعالى :

"ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة " (١٣٥)

والعدل هنا يعني العدل حتى في العاطفة وهو امر مستحيل (١٣٦) .

واذا درسنا ارقى الشرائع القديمة والحديثة نجد ان القانون الاسلامي من اعدلها واجمعها اذ ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ولم تعين هذه الحقوق والواجبات لانها تتبع العرف وتختلف باختلاف الطبقات والشرائع والعادات. فقد خصت الشرائع الاسلامية الرجل بدرجة الرئاسة اذ لا بد لكل جماعة او اسرة من نظام ولا بد لكل نظام من رئيس منفذ . لكن هذه الرئاسة رئاسة شورية لا استبدادية ودليلها من القرآن قوله تعالى في شأن الزوجين وطفلهما

---

(١٣٣) سورة النور : ٣٢

(١٣٤) سورة النساء : ٣

(١٣٥) سورة النساء : ١٢٩

(١٣٦) التفسير مأخوذ من Sayed Amir Ali, op.cit., p. 229

الرضيع وفطامه :

" .... فان ارادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما "(١٣٧)

وهذا نص صريح في اقامة سنة الشورى بين اعضاء الاسرة الواحدة .

وقد جعلت هذه الشرائع الزواج عقداً مدنياً كسائر العقود ، فينعقد ويتم وينتج جميع نتائجه بمجرد اتفاق الارادتين بمحضر شاهدين ، دون توقف على مداخلة مرجع ديني ، لانه لا يوجد في الاسلام طبقة رجال دين لهم سلطة دينية ليست لغيرهم . ففي شريعة الاسلام لا وساطة لاحد بين الله والناس .

حتى ان النبي نفسه — هو الذي جاء بالشريعة — تنحصر مهمته الدينية في التبليغ ، وسلطته في التطبيق كما يقول القرآن له : "انما عليك البلاغ" (١٣٨) "انما انت منذر ولكل قوم هاد" (١٣٩)

ولم يقف الاسلام عند هذا بل حدد مدى قوة الطلاق بيد الرجل ولم يعتبر محمد الطلاق قائماً الا بحضور قاض كما اعطى المرأة حق طلب الطلاق (١٤٠) اذا كان لديها اسباباً منطقية وهذا واضح في حادثة طلاق زينب بن زيد بن حارثة مولى الرسول . وقصة بريرة التي طلبت الانفصال عن زوجها ، ولما بكى هذا الاخير وتضرع حاول الرسول مراجعتها فتجيبه قائلة :

"أهذا امر من الله ام شفاعة منك؟"

فيقول محمد "انما انا شافع" فتأبى وتطلق (١٤١)

ولكنه في نفس الوقت حاول ان يحد من الطلاق كما جاء في الحديث الشريف "ابغض

---

(١٣٧) سورة البقرة : ٢٣٢

(١٣٨) سورة آل عمران : ٢٠

(١٣٩) سورة الرعد : ٧

(١٤٠) Shustery — Outlines of Islamic Culture, ch. Muslim Sociology, p.511 (The Bangalore Printing & Publishing Co. Ltd., Bangalore City, 1954).

(١٤١) البخاري — صحيح البخاري — باب الشفاعة (الطبعة الحميدية — القاهرة) ص ٧ — ٤٨

الحلال الى الله الطلاق" (١٤٢)

وهكذا فقد رفع الاسلام مستوى المرأة ولم يسمح بان تكون مجرد متـــاع متنقل يستطيع المالك ـ الرجل ـ ان يتخلص منها بالشكل والوقت الذى يريــــد • ولم يقتصر تأثير الاسلام على المجتمعات العربية بل كان له تأثير كبير على اثـارة حركة ترمي الى رفع مستوى المرأة في البلدان الاخرى التي دخلها الاسلام كفارس والهند •

الاعتراف بالحقوق والواجبات

كي نرفع مستوى المرأة في اول بزوغ الاسلام لا نستطيع ان نكتفي بمجـرد اسباغ الحماية عليها والرعاية لها • قد يؤدى هذا الى رفع مستوى المرأة بالمدى القصير ولكنه عامل لا تأثير له في احداث التغيير المطلوب بالمجتمع • والخطـــوة الفعالة التي قد تقود الى مثل هذا هو معاملتها كعضو مسؤول في المجتمع لهـا كافة الحقوق كما انها تخضع لمسؤولياتها وواجباتها • وهذا ما دعا اليه الاسـلام فقد خاطب المرأة كفرد مساو للرجل تشاطره مسؤوليات المواطن الكاملة واعطاهـا الحق في ان يكون لها كيان اجتماعي مستقل لا ان تكون ملحقا للرجل او حاشية له • وذهبت التعاليم الاسلامية الى ابعد من ذلك فافادت ان قيام بنيان الدولة يتوقف على الرجل والمرأة على السواء كما سوت التعاليم الاسلامية بين الرجل والمرأة فـي العمل الصالح ونتائجه • وساوت بينهما في الهجرة وتحمل الاذى في سبيل الله والجهاد • فقد رافقت اسماء ذات النطاقين اباها والنبي تحمل لهما المـــاء والطعام، وحاربت الزرقاء ابنة عدى الى جانب علي وخولة ابنة الانصارى اشتركت في الحرب ضد الروم وحكمت شجرة الدر وتحملت الجارية سميه التعذيب في سبيل دينهـــا •

---

(١٤٢) البيهقي في شعب الايمان

لقد سوى الاسلام ما بين المسلمين والمسلمات في الايمان والعمل الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وتبادل الولاء . وسوى بينهم في النتائج وقرر واجبهما معا في ذلك دون تمييز او زيادة او نقص لقوله تعالى :

" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . اولئك سيرحمهم الله . ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم " (١٤٣)

كما سوى الاسلام بين المسلمين والمسلمات في حدود الجرائم الجزائية وفي ايجاب الغض والعفة دون تمييز او تفريق وهذا ينسجم بطبيعة الحال على جميع المحرمات والمحظورات كما اشار الى اهليتها التامة في جميع التصرفات المدنية فقد قال تعالى في كتابه الكريم :

" والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " (١٤٤)

" الزانية والزاني فاجلدوا كل منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله " (١٤٥)

" قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم . ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن .. " (١٤٦)

---

(١٤٣) سورة التوبة : ٧١ و ٧٢
(١٤٤) سورة المائدة : ٣٨
(١٤٥) النور : ٢
(١٤٦) سورة النور : ٣٠ و ٣١

" .... فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت بــه " (١٤٧)

" والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهــر وعشراء فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير" (١٤٨)

" وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقــرب للتقوى ..." (١٤٩)

" واتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا " (١٥٠)

" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما اقل منه او اكثر نصيبا مفروضا" (١٥١)

" ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولــد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين" (١٥٢)

" ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب ممــا اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ، ان الله كــان بكل شيء عليما" (١٥٣)

" ....او ما ملكت ايمانهن ...." (١٥٤)

---

(١٤٧) ســورة البقــرة : ٢٢٩
(١٤٨) ســورة البقــرة : ٢٣٤
(١٤٩) ســورة البقــرة : ٢٣٧
(١٥٠) ســورة النســاء : ٤
(١٥١) ســورة النســاء : ٧
(١٥٢) ســورة النســاء : ١٢
(١٥٣) ســورة النســاء : ٣٢
(١٥٤) ســورة النــور : ٣١

كما اتت الشريعة الاسلامية في القسم القانوني منها بنظام شامل لتنظيم جميع اوضاع الاسرة وعلائقها المسماة اليوم بالاحوال الشخصية ٠ فبدأت اولا بانقاذ المرأة من الوضع المهضوم الذى كانت عليه اسرتها اذ كانت المرأة لا تتمتع بحق الحياة فضلا عن غيره من الحقوق ٠

"واذا الموؤدة سئلت ، باى حق قتلت" (١٥٥)

"ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطـأ كبيرا" (١٥٦)

لقد حرم القرآن هذا وندد به اشد تنديد ٠ وهذا "كما قال مونته عميد جامعة جنيف في مقدمة ترجمته للقرآن كاف لان يضمن لمحمد اسما لا ينسى بين المصلحين بالنسبة الى عصره ٠ (١٥٧)

ولم تكتف الشريعة بهذا المقدار بل اعتبرت للمرأة البالغة الرشيـدة الاهليات الحقوقية التي للرجل فقررت لها حق الارث الذى كانت محرومة منه كما قررت لها الحرية في الزواج واختيار الزوج واهلية الوصاية على اولادها او غيرهم وحق ادارة اموالها واستثمارها وسائر التصرفات دون سيطرة عليها ٠ كما اعطاها الحق بان تدير مالها بنفسها او بوكيلها وقرر ان ذمتها منفصلة عن ذمة اوليائها تمام الانفصال ٠ ولا يتولى احد ادارة اموالها الا بتوكيل منها ، وهي حرة في هذا التوكيل ، لها ان تعطيه ولها الا تعطيه وتبقى ذمتها بعد الزواج منفصلة عـن ذمة زوجها ، فلها ان تتولى شئون اموالها بنفسها وليس للزوج سلطان عليها في ذلك الا بتوكيل منها ، فان منحته التوكيل وهي حرة في ذلك ، تولى بمقتضى ذلك

---

(١٥٥) سـورة التكويـر ، ٧ و ٨

(١٥٦) سـورة الاسـراء ، ٣٠ (كان المعروف تاريخيا ان العرب في الجاهلية كانوا يئدون البنات خوف الفقر او العار فنزلت الاية الكريمة)

(١٥٧) محمد عزة دروزة — المصدر السابق ص ٥٤٨

الوكالة . ولها ان تعزله عن الوكالة في اى وقت شاءت كما ان لها الحق في الوصاية على اولادها .

وبهذا يكون الاسلام قد اعطى المرأة مركزا خاصا لم تمنحه من قبل لقد جعلها المسؤولة عن تربية اولادها لا من الناحية البيولوجية وحسب بل من الناحية السيكولوجية والعاطفية والثقافية وقد وصفت مدام عباسي ذلك قائلة :

"لقد كانت المرأة هي المسؤولة الاولى عن ادارة بيتها واليها كانت توكل ادارة هذه الجمهورية الصغيرة . لقد كانت النواة التي تبنى حولها الاسرة التي تعتبر الوحدة الاساسية في المجتمع . لقد اصبح للمرأة عملا مهما في بناء المجتمع بعد ان كانت مجرد قطعة للزينة "(١٥٨)

وهذا التصريح بان يكون عمل المرأة مقصورا على البيت اسيء تفسيره في كثير من الاحيان اذ قاد بعض الناس الى الظن ان الاسلام يمنع المرأة من الخروج من وراء اسوار المنزل . وهنالك فرق شاسع بين سجن المرأة في المنزل وابعادها عن كل نشاط خارجه . كما هو الحال في بعض البلاد التي تدين بالاسلام والتي تأثرت ببعض العوامل التي لا تمت للدين بصلة وبين اسناد مسؤولية رعاية البيت اليها (١٥٩) .

---

(١٥٨) Madame A. de Zyas Abbasi "Women in Islam" Islamic Literature, Lahore I 7 p. 227.

(١٥٩) ذكرت نجلا في بحثها عن المرأة العربية ان الاسلام قدم للمرأة الكثير وقد قالت ما يلي :

"Islam recognized woman as an independent being and not an appendage to the male. The Muslim gave her full legal personality and assured her economic independence. She had complete power over what she possessed and could dispose of it freely and without the intermediary of the male guardian. She was herself a guardian over minor."

Najla Izzedine, The Arab World, (Chicago, Henry & Co. 1953) pp. 289-290

والحقيقة ان الاسلام لم يدع في يوم من الايام الى سجن النساء داخل اسوار المنزل ، والشواهد التاريخية عديدة عندما شاركت المرأة المسلمة الرجل في كثير من انواع النشاط الاجتماعي اثناء حياة الرسول وبعد وفاته • كأسماء بنت ابي بكر ونسيبه بنت كعب المازنية الانصارية وخولة اخت ضرار والخنساء بنت ام الحسين •

وهنالك عدد كبير من المسلمات شغلن مراكز حساسة في الدولة وتولين معالجة ادق الامور كالحكم في القضايا الفقهية ، مثلا وقد ذكر شستري اسماء بعض هؤلاء النسوة • (١٦٠)

لعل الدور الاول من العهد العباسي اول عهد للناس ظهرت فيه المرأة قاضية تحكم بين الناس باسم الخليفة امير المؤمنين ، وكان ذلك في عهد الخليفة المقتدر وكان مرجع الامر حينذاك الى امرأتين السيدة والدة المقتدر وام موسى القهرمانة وكان لهما الرأى الاعلى فيما دق وجل من امر الخلافة وشئون الحكم • وقد عرض للسيدة ام المقتدر ان تروض النساء على القضاء فاختارت قهرمانة لها تدعى " مثل " وامرتها ان تجلس بالرصافة للمظالم وتنظر في كتب الناس يوما في كل اسبوع (١٦١)

وهنالك آية في سورة الممتحنة تنطوى على تلقين حاسم بان بنيان الدولة في الاسلام يقوم على الرجل والمرأة على السواء وقد نزلت على الرسول عندما جاءت اليه النساء وطلبن منه ان يأخذ منهن البيعة فاقرهن القرآن بهذه الاية :

" يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله

---

(١٦٠) Shustery - Outline of Islamic Culture, Appendix Muslim Women in Public Life, pp. 585-595.

(١٦١) عبد الله عفيفي — المرأة العربية في جاهليتها واسلاميتها الجزء الثالث (مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٣٠)

شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم" (١٦٢)

وآيات القرآن اكدت للمرأة المسلمة صفتها الاستقلالية في الدولة بصورة عامة وباساليب متنوعة كما اكدت اهليتها المدنية التامة المستقلة عن الرجل •

فليس من خلاف البتة ، بالنسبة لمدى النص القرآني في ان كل ما جاء من خطاب موجه الى المؤمنين والمسلمين او في صدد شئونهم المتنوعة ، بصيغة الجمع المذكر مما يتصل بالتكاليف والاعمال العامة يعتبر شاملا للمرأة اذا لم يكن فيه قرينة تخصيصية • فكل ما فرض على المسلمين او منح لهم او حظر عليهم او ابيح لهم نصا او سكوتا من تدبر آيات الله وتفهمها والعلم بها وتنفيذ مضمونها ومن واجبات وحقوق ومباحات ومحظورات وتبعات وآداب واخلاق فردية واجتماعية وتكاليف تعبدية وايمانية وما يترتب عليها من نتائج ايجابية وسلبية في الدنيا والاخرة يشمل الرجل والمرأة سواء بسواء ، دون اى تفريق او تمييز • وفي جملة ذلك ما يدخل في نطاق الدولة من زكاة وجهاد وشورى وهجرة وبيعة وتبادل ولاء وتعاون على البر والتقوى وعدم التنازع والطاعة لله والرسول واولي الامر والحرية وحق الكسب والتصرف والتوريث والارث والدين والهبة والعلم والتعلم والتعليم والوعظ والدعوة الى سبيل الله الخ •••

وبناء على ذلك كله يمكن ان يقال : ان القرآن يقرر مشاركة الرجال والمرأة في كيان الدولة والمجتمع سواء بسواء ـ عدا بعض استثناءات قليلة متصلة بخصوصيتها الجنسية ـ ويجعل لها الحق مثله في النشاط الاجتماعي والسياسي بمختلف اشكاله وانواعه • ومن جملة ذلك تعلم العلوم والفنون على انواعها ودرجاتها •

---

(١٦٢) سورة الممتحنة : ١٢

لاستكمال الاستعداد لممارسة الاهلية والصفة التي منحتها • والحياة النيابية وغير النيابية مما يتصل بتمثيل طبقات الشعب ووضع النظم والقوانين والاشراف على الشؤون العاملة والجهود والدعوات والتنظيمات الوطنية والكفاحية والاجتماعية والاصلاحية • وممارسة كافة الحقوق والاعمال والحريات العامة ، مما يتفق مع المنطق ومع مقتضيات وطبيعة الحياة الكاملة التي يستهدفها القرآن (١٦٣) •

الاسلام وتعليم المرأة

قبل ان نتعرض لبحث موقف الاسلام من تعليم المرأة ارى ان نتبين موقف الاسلام نحو الفرد رجلا كان ذلك ام امرأة • لم يكن الاسلام كما قلت سابقا في يوم من الايام دينا يدعو للفردية التي قد تقود الى الفوضى ولا هو من دعاة الجماعية بحيث يصبح الفرد عبدا لدولة ذات حكم فردى سياسي او منبثق من السماء • ولكن الاسلام يوازن بين هذين الاتجاهين • لقد اعلن اكثر من مرة ان كل فرد مسؤول عن تصرفاته واعماله • قال تعالى :

" فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل من ذكر وانثى ، بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار" (١٦٤)

" من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون" (١٦٥)

" ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا" (١٦٦)

" يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ

---

(١٦٣) محمد عزة دروزة نفس المصدر السابق ص ٧٤ و ٧٥ — ٧٦ — ٧٩
(١٦٤) آل عمران : ١٩٥
(١٦٥) سورة النحل : آية ٩٧
(١٦٦) سورة النساء : آية ١٢٤

شأن يغنيه " (١٦٧)

" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (١٦٨)

" يومئذ يصد الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "(١٦٩)

" وكل انسان الزمناه طائره في عنقه " (١٧٠)

" كل نفس بما كسبت رهينة " (١٧١)

والفرد في المجتمع الاسلامي وان كان ليس آلة بيد الدولة ولكنه فـــي في الوقت نفسه ليس حرا بحيث يستطيع التحلل من قيود المجتمع .

يعتبر الاسلام الفرد وحدة اجتماعية كاملة او كيان اجتماعي كامل ولكنـه لا يستطيع النمو في عزلة انه يحتاج الى محيط ومجتمع حتى ينمو نموا اجتماعيـــا صحيحا . والمجتمع هو القالب الذى به يتأثر خلق الفرد فالعلاقة بين المجتمـــع والفرد هي علاقة متبادلة مشتركة فالفرد يحتاج المجتمع لنموه وتكامله والمجتمـــع يحتاج الافراد لانه بدونهم يصبح المجتمع لا كيان له (١٧٢) .

وهذا يقودنا الى ظاهرة واضحة في الاسلام وهي غياب طبقة الكهنـوت عن الدين الاسلامي ويعلق اميرعلي على هذه النقطة قائلا :

---

(١٦٧) ســورة [illegible] ؛ آية ٣٤و٣٧
(١٦٨) ســورة التـوبــة ؛ آية ٧١
(١٦٩) ســورة زلـزلـــة ؛ آية ٦
(١٧٠) ســورة الاســرى ؛ آية ١٣
(١٧١) ســورة مدثـــر ؛ آية ٣٨
(١٧٢) Muhammad Iqbal, Reconstruction of Religious Thought IN Islam, quoted by Muhammad Tufail, Iqbal's Philosophy & Education, (M.A. Thesis, Department of Education, A.U.B.).

ان اسلام محمد لا يعترف بطبقة الكهنوت ولا يسمح باحتكار المعرفة الروحية وهو لا يرتضي بالقداسة الخاصة التي تتوسط بين العبد وربه فروح كل فرد تقف لان تناجي باريها دون الحاجة الى وساطة كاهن او شفيع. وليس في الاسلام اضحيات (اضاحي الحج ليست من الفئة الموجودة في الديانات الاخرى) وليس فيه طقوس يخترعها اصحاب المصالح الخاصة. انه لا حاجة لكل ذلك من اجل ان يتقرب قلب تواق الى الاتصال بربه حتى يهبه العزاء والسلوان. ان كل فرد هو كاهن نفسه وليس في دين محمد رجل اقرب الى الله من غيره حتى يتوسط له" (١٧٣).

ويوافق آرنولد على هذه النظرية قائلا: (١٧٤)

"في الديانة الاسلامية حيث لا يوجد نظام كهنوتي، لا يوجد احتفالات دينية. يولد الطفل مسلما فيعطيه والده الاسم فاذا اراد الزواج فكل ما عليه ان يقوم هو وهي او كليهما بعقد الاتفاق بحضور شاهدين ولا يتدخل بالاتفاق اى فرد الا الاشخاص اصحاب العلاقة.

والمسلم يصلي في اى مكان يناسبه ولكي يحصل على الغفران يتوجه مباشرة الى ربه في طلب ذلك. فاذا وافته المنية يتوجب على المسلمين من سكان البلد ان يضعوه في كفن ويدفنوه في التراب ولا يشترط وجود رجل دين لاتمام الدفن فاى مسلم يستطيع ان يفعل ذلك."

وبكلمة اخرى، في كل الاعمال الدينية لا حاجة ان يكون هنالك وسيط بين المسلم وربه. ومسؤولية الفرد في الاسلام امر بالغ الاهمية، وينبثق من تحمل المسؤوليات تأدية الواجب ولكي يستطيع الفرد تأدية واجبه يجب ان يعرفه اى ان يتعلمه ولهذا السبب نرى الاسلام يؤكد على اهمية التعلم.

من البحث الذى سبق يتضح ان الاسلام لم يفرق ولم يضع حدا بين الرجل

---

(١٧٣) Amir Ali, _op.cit._, p. 166

(١٧٤) T.W. Arnold, _Preaching of Islam_, (Lahore, Shirkat el-Qulam, 1958) pp. 445-465.

والمرأة فيما يتعلق بمسؤولياتها الدينية الشخصية اوالاجتماعية • واذا تساوى الاثنان في نفس المسؤوليات فمن المنطقي جدا ان يتساويا بالحقوق، هذا هو قانون العدل والاسلام وهو يتشدد جدا بالنسبة للعدل بين افراده •

وبناء عليه فليس هناك من داع لان يكون هناك فرق في حق تلقي احدهما العلم • والواقع ان محمد نفسه قد قال في احد احاديثه :

" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " (١٧٥)

وعامل آخر يقودنا الى الاستنتاج ان الاسلام يعلق اهمية كبرى على ثقافة المرأة اذا قورنت بثقافة الرجل ، لانه، اى الاسلام، قد وضع مسؤولية تربية الاجيال الطالعة على عاتق المرأة • وغني عن البيان والتكرار ان اعداد الاطفال ليصبحوا مواطنين مسؤولين في المستقبل ليس عملا مهما فقط بل انه في غاية الصعوبة • وانه من الثابت ايضا ان فترات الطفولة المبكرة تترك طابعا واضحا على الاطفال وتؤثر بهم تأثيرا كبيرا واذا كان الاطفال يخضعون لتأثيرات سيئة سينشأون مواطنين غير مرغوب بهم في المجتمع •

ولا تقتصر مهمة التربية في الاسلام على الرعاية الجسدية بل تتناول كذلك تربيتهم حسب مبادئ الدين الاسلامي وقيمة ومثله العليا •

وانه لمن الاجحاف بحق الاسلام وعدم التقدير لمبادئه ان نرضى للحظة واحدة بفكرة ان الاسلام يسمح لاتباعه بل ويحثهم على تسليم اطفالهم لامهات يجهلن واجباتهن، حقوقهن ومسؤولياتهن •

واود ان اختم الفصل برأى لهولتء المحاضر الاول في تاريخ الشرق الادنى بجامعة لندن اذ يقول :

---

(١٧٥) لابن ماجه عن انس ابن ملك

ان انخفاض نسبة تعليم المرأة في العالم الاسلامي هو اهم ما ينتقده باحثو الغرب المسيحي وارجاع انحطاط مستوى المرأة العلمي هـــــذا للاسلام كدين لهو من اكبر العاطفية والضحالة في الرأى وهو تبسيـــط سطحي لظواهر اجتماعية بالغة في التعقيد" (١٧٦)

---

(١٧٦) P.M. Holt, <u>A Modern History of the Sudan</u>, (London, Oxford University Press) p. 202.

الفصـــل الثالـــث

تعليم المرأة المسلمة في عصور الاسلام الاولى

لعله من سخريات القدر ان اقدم المسلمون على تحسين ادارة شـؤون الدولة التي ورثوها من مختلف المصادر بل واضافوا اليها الشيء الكثير فقد نظموا اقساما وادارات مختلفة وسيروها على اسس صحيحة ولكنهم لم يلتفتوا الى تنظـيم شؤون التربية ووضعها تحت اشراف الدولة • وهكذا فان اول مدرسة اسلاميـة فتحت على يد السلطات المسؤولة وانشئت على اسس تربوية معينة تأخرت حـتى القرن الخامس للهجرة كما يشهد بذلك احمد شلبي اذ يقول : (١)

> " يعتبر عام ٤٥٩ هـ حدا فاصلا فيما يختص بامكنة التعليم عند المسلمين، ففي هذا العام افتتحت في بغداد اول مدرسة مـن مجموعة المدارس الكثيرة المنظمة التي انشأها الوزير السلجوقـي العظيم نظام الملك • وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الاسلامي حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة • بالاضافة الى المدارس الكبرى في عواصم الاقاليم • ثم اقتدى بنظام الملك كثير من الملوك والعظمـاء في ذلك المضمار •• "

ولكن يجب الا يقودنا هذا الى الاعتقاد ان المسلمين لم يلتفتوا الى تعليم ابناءهم قبل القرن الخامس • اذ علينا ان نفرق بين التعليم كنشاط تكون الـدولـة مسؤولة عنه والتعليم كمسؤولية من مسؤوليات البيت • وقد كان من المـألـوف المتعارف عليه في الفترة الاولى من سطوة المسلمين ان تكون مسؤولية تعلـيم الاولاد على عاتق البيت واكتفت الدولة بأن ساعدت العلماء وشجعت دعاة التعليم وحماته فقط •

قد لا استطيع في هذه الدراسة ان اعالج الاسباب التي دعت المسلمين الى تجاهل تنظيم امور التربية والتعليم على مستوى الدولة كما انه من غير المتيسر ان نبحث نتائج سياسة التساهل التي اتبعها خلفاء وحكام المسلمين بامور التربيـة

---

(١) احمد شلبي المصدر السابق ص١٩

اثناء ازدهار الدولة العباسية ولكنني اعتقد ان سياسة التساهل هذه قد ادت الى نوع من الفوضى التربوية التي لم تؤثر على المسلمين فقط بل قادت الى تجاهل بعض التعاليم الاسلامية الهامة • ومن هذه التعاليم ضرورة تعليم المرأة • ولعل هذا يوضح عدم وجود مدارس خاصة بالنساء او حتى تردد النساء على المدارس التي كانت مفتوحة آنذاك • وجميع المصادر التي تتناول بحث المواضيع التربوية للمجتمعات الاسلامية في القرون الوسطى صامتة حول هذا الموضوع مما قد يقودنا الى الاعتقاد ان المرأة المسلمة لم تعط فرصة واسعة للتعلم في هذه الفترات ولعل حالها كان حال شقيقتها في الغرب في العصور الوسطى • وليس ادل على ذلك من قول غتر Ghater كما نقله الدكتور احمد شلبي :

" لقد كانت العناية بالمرأة الاوروبية محدودة جدا تبعا لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذى كان يعد المرأة مخلوقا في المرتبة الثانية وقد حرصت القرون الوسطى ان تحد من سلطة المرأة الاوروبية والا تمنحها اى لون من الوان النفوذ فيما عدا المجال الضيق الذى تعيش فيه وهو البيت" (٢)

" وقد كان يسمح لطبقة النبيلات ان يتعلمن القراءة والكتابة حتى يستطعن ادارة ضياعهن - وحرم التعليم على بنات التجار والصناع وترددوا في منح هذا الحق لبنات السادة وبنات القضاة والاطباء ثم انه من الخير لهن الا يتعلمن القراءة والكتابة " (٣)

" وكان الاهتمام بتعليم المرأة الانجليزية اقل من الاهتمام بتعليم الرجل فما عليها الا ان تتعلم الفضائل من الكتاب المقدس لتعيش في بيتها حياة صحيحة وتتزود بالجانب العملي في الحياة المنزلية لتكون زوجة صالحة " (٤)

---

(٢) احمد شلبي المصدر السابق ص٢١٨ عن
K.A. Weith Knudsen, Feminism, (translated from the Danish by Arthur G. Ghater)p.209.

(٣) احمد شلبي المصدر السابق ص٢١٩ عن
The Encyclopedia of Education IV p. 1790.

(٤) احمد شلبي نفس المصدر ص٢٢٠ عن
English Life and Manners in the Middle Ages.

وعلى اية حال سنحاول هنا تبيان ما اصابته المرأة المسلمة من التعلم ٠

تدل الشواهد التاريخية على بروز عدد كبير من المسلمات في مختلف ميادين العلم والادب لا في الخلافة الاموية او العباسية فحسب بل حتى في الفترة الاولى من حياة الرسول والفترة التي تلت وفاته ٠ ومن المسلمات الشهيرات حفصة بنت عمر وعائشة بنت سعد ، وكريمة بنت المقداد (٥) ، والشفاء بنت عبد الله العدوية (٦) وابنة الاعشى (٧) ، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي وكانت هذه الاخيرة راوية محدثة من خيرة المحدثات في عصرها وكان يجلس في حلقتهـا مشاهير العلماء والمجتهدين ٠ ولما دخل الامام الشافعي في مصر حضر اليها وسمع عنها الحديث ٠ ومن شهيرات النساء في العلوم الشيخة شهدة التي كانت تحاضر للجماهير في مسجد بغداد محاضر في الادب والبلاغة والشعر بالاضافة الى محاضرتها في العلوم الدينية ٠ لقد استطاعت بثقافتها ان تأخذ مكانتها بين مشاهير العلماء وفطاحل المدرسين (٨) ٠ وزينب بنت عبد الرحمن الشعرى وكانت عالمة وادركت جماعة من اعيان العلماء واخذت عنهم رواية واجازة (٩) ٠

---

(٥) للتوسع في معرفة اسماء اللواتي برزن في مختلف الميادين العلمية والادبية فيرجى الرجوع الى :
احمد شلبي تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٣٢٤ ـ ٣٤٥
سيد امير علي مختصر تاريخ العرب (دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١)
اسما حسن فهمي مبادئ التربية الاسلامية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧) ص ١٤٣ ـ ١٥٢
Sayed Amir Ali, The Spirit of Islam, pp. 254-255.
Sayed Amir Ali, "Distinguished Women in Islam"
Sayed Amir Ali, The Ninteenth Century, May 1899
A.M.A. Shustery, Outlines of Islamic Culture, (The Bangalore Printing & Publishing Co. Ltd., Bangalore City, 1954) pp. 585-595.

(٦) ابو الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ١٥ (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٧) ص ١٠٦
(٧) ابن خلكان وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان ، ٢ (المكتبة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨)
(٨) ص ٢٥١
(٩) ابن خلكان المصدر السابق ص ٢٧٨

وكريمة بنت احمد المرزوى وقد قرأ الخطيب البغدادى "صحيح البخارى" عليهـا وكان لها فضل كبير في تكوين هذه العالم (١٠) . وقد عد ابن دساكر اساتذته وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم وكان من بينهم احدى وثمانون امرأة (١١) وقد حفلت كتب الادب العربي بالحديث عن كثيرات من الاديبات والبليغات والشاعرات اللواتي كن يناظرن الرجال وربما تفوقن عليهم كزوجة الفرزدق ورابعة العدويـة الشاعرة المتصرفة (١٢) وزبيدة زوجة هارون الرشيد (١٣) وحمدة بنت زياد المؤدب واختها الشاعرتان والاديبتان (١٤) ومريم بنت ابي يعقوب الانصارى الاديبة الشاعرة التي كانت تعلم الناس والادب (١٥) وبدانية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون التي اخذت عن مولاها النحو واللغة ولكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض (١٦) ، وحفصة بنت الحاج الركوني (١٧) الاديبة التي وليت تعليم النساء في دار المنصور امير المؤمنين، وتقيه ام علي بنت ابي الفرج الاديبة والشاعرة الممتازة . وبرز عدد كبير من النساء في ميدان الموسيقى والغناء كجميلة مولاة بني سليم ودنانير من الجوارى وعليه بنت المهدى اخت هارون الرشيـد وخديجة بنت الخليفة المأمون وهما من الحرائر (١٨) .

---

(١٠) ياقوت ـ معجم الادباء جـ١ (مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بمصر ١٩٣٦) ص٢٤٧

(١١) نفس المصدر

(١٢) الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين جـ٢ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨) ص ٩٣

(١٣) المسعودى ، مروج الذهب جـ ٢ (المكتبة التجارية الكبرى ، القاهـرة ١٩٤٨) ص ٣١٥ ـ ٣١٦

(١٤) لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة جـ١ "حققه وقدم له محمد عبد الله عنان" (دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٣١٩ هـ) ص٣١٦

(١٥) المقرى ، نفح الطيب (مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٧٩ هـ) ص١١٤

(١٦) نفس المصدر ص١٠٧٨

(١٧) لسان الدين بن الخطيب ، المصدر السابق جـ١ ص٣١٦

(١٨) ابي الفرج الاصبهاني ، الاغاني جـ٧ ١٣و١٢٤ ، ٩ ، ٨٣ ، ١٦ ، ١٣٦

واشتهرت عليه بنت المهدى بتبحرها في الشعر والغناء وتركت تراثا يانعا من اشعار الغزل وهي ناحية تدل على ما بلغته المرأة من الحرية في العصر العباسي الاول . وولادة بنت الخليفة المستكفي بالله ، كانت اديبة شاعرة تساجل الشعراء والادباء وتفوق البارعين، وقد اتخذت من قصرها منتدى رحبا يأوى اليه افاضل الشعراء والقضاة والوزراء والعلماء (١٩) .

وبالاضافة الى ذلك فقد برع بعض النساء في الطب كزينب طبيبة بني اود التي كانت عارفة بالاعمال الطبية ، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات (٢٠) ، وام حسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي وكانت امرأة واسعة الاطلاع كثيرة المعارف واجادت عدة علوم مع الطب ولكنها كانت في الطب ابرز واشهر (٢١) . واخت الحفيد بن زهر وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء (٢٢) .

وكذلك نبغ عدد من النساء المحاربات كنسيبة زوجة زيد بن عاصم (٢٣) التي قامت بدور هام في موقعة احد ، والزرقاء بنت عبدى الهمدانية (٢٤) في موقعة صفين ، وعكرشة بنت الاطرش (٢٥) وام عيسى ولبابه اختي صالح بن علي اللتين غزتا بلاد الروم مع اخيهما (٢٦) .

---

(١٩) اسماء فهمي المصدر السابق ص١٤٨ _ ١٤٩

(٢٠) ابن ابي الاصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطباء جـ١ (المطبعة الوهبية ١٨٨٢) ص١٢٣

(٢١) لسان الدين بن الخطيب ، المصدر السابق جـ١ ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢٢) ابن ابي الاصيبعة ، المصدر السابق جـ٢ ص٢٠

(٢٣) M. Mugannam, The Arab Women (London 1937) p. 25

(٢٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ١ (لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ _ ١٩٥٣) ص٢١٢

(٢٥) نفس المصدر

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ ٥ (المطبعة الازهرية المصرية ١٣٠١هـ ص٣٧٢

واسهمت المرأة المسلمة في نواح اخرى من جوانب الحياة الاسلامية فقد اهلتها ثقافتها الى ان تشتغل بالسياسة وشؤون الحكم . وتشير كتب التاريخ الى امرأة تولت القضاء في عهد المقتدر العباسي وقد اطمأن الناس اليها بعد ان تبينوا قدرتها وفضلها (٢٧) . ولقد اجتذبت السياسة النساء الى ميدانها الوعر وناصرن حزبا على حزب كما حدث ابان الصراع بين علي ومعاوية فقد ناصر عليا عدد كبير من النساء مثل هند بنت يزيد الانصارية ، وام الخير البارقية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس وعكرشة بنت الاطروش (٢٨) . وكان للخيزران نصيب كبير في ادارة شؤون الدولة في عهد زوجها المهدي وولديها الهادي والرشيد (٢٩) . واشتهرت زبيدة زوجة الرشيد باعمالها الاجتماعية (٣٠) ومن اروع آثارها حفرها العين المعروفة بعين (المشاش) بالحجاز . وفي قرطبة اشتهرت لبانة التي كانت تشغل وظيفة قل ان شغلتها امرأة فقد كانت ، كما يقول بكش Buksh (٣١) سكرتيرة خاصة للخليفة الحكم بن عبد الرحمن وكانت حاذقة في الكتابة ، نحوية شاعرة ومتضلعة في الحساب والعلم . واما ام المقتدر العباسي فلم تكتف بتشييد مستشفى كبير في بغداد بل ارصدت اوقافا لنفقاته اوفت على سبعة عشر الف دينار في العام الواحد (٣٢) . وخاتون بنت الامير مسعود اقامت مواطن وعمارات للغذاء والماء لتكون عونا للحجاج ، وتيسيرا لقوافلهم وامنا على انفسهم من حدود

---

(٢٧) اسماء فهمي المصدر السابق ص١٤٨ - ١٤٩

(٢٨) اسماء فهمي نفس المصدر ص ١٥٠ عن القلقشندي ، وصبح الاعشى ج١ ص٢٤٨ - ٥٤

(٢٩) المسعودي المصدر السابق ج٢ ص ٢٥٥

(٣٠) المسعودي نفس المصدر ج٢ ١٥٦

(٣١) Khuda Buksh, op.cit., p.295.

(٣٢) عمر رضا كحالة ، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، (المكتبة الهاشمية ، دمشق ١٩٤٠) ص ٢٣٦

الاناضول الى المدينة المنورة (٣٣) • والسيدة زمرد ، أم اسماعيل ، زوجة الملك اتابك زنكي ، انشأت في دمشق المعهد العلمي المشهور باسمها واجرت للفقهاء الرواتب الضخمة (٣٤) •

واقتفت اثرها زوجة ابنها محمود زنكي فانشأت في دمشق معهدا للفقه (٣٥) والسيدة زهرة بنت الملك العادل سيف الدين ايوب انشأت المدرسة العادلية الصغرى التي لا تزال الى اليوم قائمة في دمشق ولا يزال اسمها منحوتا على بابها وكذلك ارصادها الهائلة التي حبست للنفقة عليها (٣٦) • وست الشام بنت نجم الدين ايوب لم تكتف بالمعهدين العظيمين اللذين اقامتهما بدمشق للعلم والمعرفة ، ولم تكتف بما حبست لهما من خراج بل حولت قصرها الفخم الى مستشفى يؤمه الفقراء من كل صوب ويطببون ويعطون الادوية والعلاجات هبة منها • واختها بنت المدرسة الصاحبية وهي حتى اليوم قائمة في صالحية دمشق ويؤمها مئات الطلاب (٣٧) •

ولكن لماذا كانت نسبة المتعلمات الى النساء اقل بكثير من نسبة المتعلمين الى الرجال مع ان الدين الاسلامي لم يجعل الجنس عائقا للمرأة دون تلقي العلم • هل هي الصعوبات التي كان يواجهها طلاب العلم ؟ فقد كانت الرحلات والحرمان والتقشف شارات الطالب المسلم وكان العرب يضعون المرأة في مكانة سامية ومنزلة عاليه فلا يسمحون لها بالتعرض لتعب العيش وشظف الحياة وقد قال الشاعر ابي فراس :

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

---

(٣٣) نفس المصدر

(٣٤) النعيمي ، ابو المفاخر عبد القادر ، الدارس في تاريخ المدارس ، حققه جعفر الحسني ، مطبوعات المجمع العلمي ، دمشق ١٩٥١

(٣٥) نفس المصدر ص ٣٦٨

(٣٦) نفس المصدر

(٣٧) نفس المصدر ص ٢٧٧ ، ٣٠١

اولعل ذلك يعود الى ان المرأة كانت تتلقى العلم في المنزل وعلى ايدى ابيها اواخيها اواحد اقاربها المتعلمين اوعلى يدى مؤدب يدعى لها في العائلات النبيلة الثرية مما قد لا يتيسر للجمهرة العظمى من النساء، في حين ان الوسيلة لتعليم الولد سهلة ، فهو يلتحق بالكتاب صبيا وينضم الى الحلقات اذا شب ونمت ثقافته . اعتقد ان هذا هو اكثر التفسيرات المعقولة لغياب اى ذكر لمدارس البنات في تاريخ التربية الاسلامية .

ولعلنا وبسبب نقص الشواهد التاريخية الصحيحة لسنا في مركز يسمح لنا بتقديم تفصيلات واضحة عن كيفية تطبيق تعليم المرأة في المنزل في الفترات الاولى من العصور الوسطى وعلينا ان نكتفي بحقيقة هامة اعود لتأكيدها مرة ثانية ، هي ان المرأة المسلمة لم تحرم من العلم وان كان اسلوب التعليم يتفق وحاجاتها في تلك الفترة ، فقد كان نشاط غالبية النساء ينحصر في البيت، ولذا فقد كان تعليمها يتناول سد هذه الحاجات، ففي العصور الوسطى لم تكن الصناعة قد دخلت على المجتمع الاسلامي ولذلك فلم يكن هنالك ضغط اقتصادى يتطلب من المرأة العمل خارجا للمساهمة في هذه النفقات المنزلية كما هي الحالة الآن وبالتالي فلم تكن عامة النساء بحاجة الى ذلك النوع من التعلم الذى تتطلبه هذه الخبرات. واما اذا شاءت المرأة ان تتعلمه فلم يقف في طريقها احد ، كما لم يكن هنالك ما يمنعها من مزاولة العمل خارج المنزل كما رأينا سابقا .

ومع مرور الزمن، وكما هي الحالة في جميع المجتمعات ، اخذ المجتمع الاسلامي يكوّن لنفسه نظما واساليب ثابتة وهكذا بدأت فترة الجمود كنتيجة لمحاولة الوصول الى نوع من الاستقرار ويقول ليبيت Lippit محاولا اثبات هذه النظرية (٣٨)

" هنالك ميل دائم في اى مجتمع انساني ان يصل الى اسس ثابتة ، والوصول الى هذه الحالة بطبيعه يقود الى مقاومة التغير".

---

(٣٨) Ronald Lippit et il, <u>Dynamics of Planned Change</u>, (New York, Harcourt Brace & World, Inc., 1958)

وخير مثل لهذا القول هو دراسة تطور المجتمعات الاسلامية • فعندما اشرق فجر الاسلام كان قوة فعالة وعاملا قويا على تغيير المجتمعات التي اقبلت على اعتناقه وقبلت به، ومع مرور الزمن بدأ نوع من الجمود وفقدت الروح الديناميكية السابقة قوتها بسبب الانهماك بالعمل من اجل وضع نظم اجتماعية مستقرة • وكان اغلاق باب "الاجتهاد" في اول الخلافة العباسية احد نتائج الميل الى الاستقرار •

ولا شك ان اى مجتمع او اى عمل اجتماعي يهدف الى نوع من الاستقرار ولكنه في نفس الوقت لا غنى له عن التطور والتغير (٣٩) وحتى يتجنب اى تصادم بين هاتين القوتين المتضاربتين يجب ان يلجأ الى التخطيط، التخطيط المنظم الذى يقود لعملية التغير ضمن نطاق من الاستقرار (٤٠) •

ولكن قفل باب "الاجتهاد" بالنسبة للمجتمعات الاسلامية ادى الى تجاهل التخطيط الذى يؤدى الى عملية التطور الضرورية مما اثر الى حد بعيد على المجتمعات الاسلامية ومما تقع عليه اكبر المسئولية عن حالة الفساد والانحطاط التي قاست منها هذه المجتمعات وما زالت تعاني حتى الان وقد كتب امير على حول هذه النقطة قائلا : (٤١)

> "ان الآفة التي اصيبت بها الامم الاسلامية ليست متولدة من تعاليم محمد • فليس هناك دين اشد نقاوة ولا اكثر توافقا مع متطلبات الانسانية التقدمية من الاسلام • ان خمول المجتمعات الاسلامية الحاضرة يعود في اساسه الى الفكرة التي رسّخت نفسها في عقول عامة المسلمين، والقائلة بان حق الاجتهاد في الايام الحاضرة ذنب وخطأ كبير وان على المسلم ، لكن يمكن اعتباره محمديا مستقيما • ان يتبع واحدا او الاخر من المذاهب التي قرر حدودها أئمة الاسلام السابقون • فيهجر اجتهاده الخاص بشكل مطلق ويلجأ الى تفسيرات وتخريجات الرجال الذين عاشوا في

---

(٣٩) <u>ibid.</u>

(٤٠) Alice Miel, <u>Changing the Curriculum</u>, (New York, Appleton Century Croft, Inc.) p. 19.

(٤١) Sayed Amir Ali, <u>op.cit.</u>, pp. 183-184.

القرن التاسع للميلاد ، مع انه لا يمكن القول ان كان قد توفر لديهم مفهوم كامل عن ضرورات ومتطلبات القرن العشرين ... ومتناسين الطابع الكوني لتعاليم الرسول ودون ان تسعفهم روحه وبوحي الهامة ، نسي هؤلاء المفسرون ان الرسول من عليا" عبقريته كان يحدث الانسان قاطبة ، لقد خلطوا بين (الاني) و (الابدي) والعام والخاص.

وكان نتيجة لتوقف فكرة الاجتهاد انه لم يسمح لاحد حتى ولو كان كفوءا ان يشرع القوانين ويفسر سنة الرسول بعد الائمة الاربعة وبالتالي فهم لم يحسبوا حساب الظروف التي تغيرت والتي يواجهها المسلمون اليوم، فالمجتمعات الاسلامية اخذت تتعقد يوما بعد يوم وتواجه مصاعب ومشاكل جديدة ، والمبدأ السابق يقف في طريق كل تعديل، ولا شك ان النتيجة الطبيعية في مجال كهذا هي الركود والفساد . واني اعتقد ان هذا هو السبب في ان معظم العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية يطالبون بفتح باب الاجتهاد بل ان السلطات في مختلف البلدان الاسلامية على مختلف مذاهبها طالبت بنفس الشيء في المؤتمر الاسلامي المنعقد في كانون الاول عام ١٩٥٨ في لاهور (٤٢) حتى يتمكن المجتمع الاسلامي من مسايرة التطورات الحديثة (٤٣) .

وعلى اىحال لست هنا في مركز يجعلني اتناول امر الاجتهاد بالتفصيل وانما ذكرته لان نتائج توقفه تتعلق تعلقا مباشرا بتعليم المرأة الذى لم يتغير مع تطور الزمن مع حدوث تغييرات كثيرة ، فقد اختلفت المناهج واضيف اليها بعض المواضيع، وتوسعت المواضيع التي كانت تدرس، فمع دخول غير الناطقين بالعربية الاسلام، اصبح تعليم قواعد اللغة امرا ضروري لحفظها من الفساد (العجمة) اولا ولتسهيل دراسة القرآن وفهم روحه ثانيا ومن ثم دخل تدريس الفقه الاسلامي وتطور الامر بعد ذلك حتى قسمت المواضيع كما ذكرها طوطح عن ابي يحيى زكريا

---

(٤٢) قدم الاقتراح الشيخ محمد زهرة

(٤٣) **Minutes of the Third Islamic Colloquem** - "Section on Ijthad", (Lahore, Punjab University, 1957)

كالتالي (٤٤) :

المواضيع الشرعية ـ الفقه ـ علم التفسير ـ التقاليد ـ المواضيع الادبية ـ علم اللغات ـ الاعراب ـ الخطابة ـ الحفظ ـ الانشاء ـ القراءة ـ التاريخ •

العلوم الرياضية ـ الهندسة ـ علم الفلك ـ الحساب ـ الجبر ـ الموسيقى ـ السياسة ـ الاخلاق ـ الاقتصاد المنزلي

العلوم العقلية ـ المنطق ـ المناظرة ـ علوم ما بعد الطبيعة (الالهي) ـ الطب ـ الكيمياء ـ علوم متنوعة ـ الزراعة ـ السحر ـ تفسير الاحلام ـ علم التنجيم ـ علم الفراسة ـ البيطرة •

لسنا الان في تفسير صحة المناهج او اهميتها ولكني اوردتها هنا لابين ان عملية التعليم في المنازل لم تعد مجدية •

وكانت هذه الحقيقة واضحة حتى بالنسبة لتعليم الصبيان الذى كان خلال حياة الرسول، وبعد قرنين من وفاته يجرى على مستوى فردى او في الجوامع•

١ ـ ومع تقدم العلوم وتقدم المعارف اصبحت المواد تستدعي دراستها كثيرا من الحوار والنقاش والجدل كعلم الكلام وعلم الجدل والمناظرة ومثل هذه المواد تتنافى طبيعة تدريسها مع ما يجب ان يكون عليه رواد المساجد من هدوء وجلال •

٢ ـ وثم تبعا لرأى Von Kremer ان هناك جماعة شغلوا بالتعليم معظم وقتهم وحاولوا ان يرتزقوا عن طريق حرف كانوا يقومون بها مع التدريس ولكنهم فشلوا في الحصول على مستوى مناسب من العيش فلم يكن حينئذ بد من انشاء المدارس لتضمن لهم جرايات تقوم بحاجاتهم (٤٥) •

---

(٤٤) Khalil Totah, The Contribution of the Arabs to Education, (New York City, Teachers' College Columbia University, 1942) p. 56.

(٤٥) احمد شلبي المصدر السابق ص ٩٦ ـ ٩٧ عن

Khuda Bukush, Islamic Civilization, p. 285.

٣ ـ وباتساع حقل العلم اخذ الطلاب يضطرون الى الانتقال من استاذ مختص الى آخر حتى يتمكنوا من تلقي العلوم المطلوبة • واشتدت الحاجة الى وجود اماكن معينة للدراسة فاسس الفاطميون (٤٦) في الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى جامعة الازهر في القاهرة وفي اوائل القرن الخامس للهجرة اسسوا دار العلم ودار الحكمه (٤٧) ، ولكن المدارس لم تنتظم امرها وتتخذ طريقها الواسع الا حين اسس نظام الملك الطوسي (مدارس) في بغداد وغيرها من عواصم الدولة الاسلامية التابعة للسلطة السلجوقية (٤٨) في عهده وكانت (نظامية بغداد) اولى المدارس النظامية واهما وقد تم بناؤها سنة ٤٥٩ هـ ودرّس فيها الشيخ ابو اسحق الشيرازى (٤٩) •

كانت هذه التطورات مسموحة بل ومعمول بها في حال تعليم الذكور اما الاناث فلم تتغير طرق تعليمهم بل بقيت المرأة تتلقى علومها بالمنزل • ولعل هذا يدفعنا للتساؤل عن الاسباب الداعية لذلك • واني اعتقد ان ذلك يعود لعدة عوامل اهمها :

١ ـ تأثر المسلمين بنظرة الجاهلية ، لذا فقد وجدت العادات الوافدة هوى في نفوسهم فطبقوها •

٢ ـ تأثر المسلمين بنظرة افلاطون وارسطو وفلوطينوس الى التربية واتجاهاتهم

---

(٤٦) يعتقد ابن خلكان ان مصر لم يكن بها مدارس قبل الدولة الصلاحية ، اما الجامع الازهر والمعابد العلمية الاخرى التي شادها الفاطميون فلم تكن مدارس بالمعنى الاصطلاحي • (ابن خلكان وفيات الاعيان ج٦) (مطبعة النهضة ، القاهرة) ص٢٠٥

(٤٧) المقريزى الخطط ج٥ (مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ) ص٤٩

(٤٨) نفس المصدر

(٤٩) من اراد التوسع في تاسيس المدارس واسمائها واماكنها فالمرجو ان يرجع الى : اسعد طلس : المصدر السابق ، ص٤٨ ـ ٥٢ ، ١٢٢ ـ ١٧٤
احمد شلبي : المصدر السابق ، ص٩٦ ـ ١١٣

نحو المرأة بشكل عام، وقد دخلت هذه الافكار الى العالم الاسلامي عن طريق ترجمة المؤلفات الاغريقية •

٣ _ تبني العادات الفارسية والبيزنطية فيما يتعلق بمركز المرأة في المجتمع

٤ _ دخول الجوارى الى العائلات العريقة في المجتمعات الاسلامية ومحاولة المسلمين التفريق بين الحرة والجارية •

ومع اني ساقوم بمعالجة البندين الثاني والثالث بالفصل القادم الا انه لا بأس بان نذكر بان المرأة في فارس كانت تعتبر كقطعة من زينة لا مخلوق له كامل الحقوق والواجبات، وتأثر المسلمون بهذه النظرة وتناسوا تعاليم الدين فيما يتعلق بحقوق المرأة •

وفي نفس الوقت، وتحت تأثير تعاليم افلاطون وارسطو تناسى رجال الفكر الاسلامي الاحرار ضرورة تغيير الاساليب التربوية للمرأة • ويجدر بنا ان نذكر انه من الملاحظ في جميع كتابات كبار المفكرين في الاسلام ان تعليم المراة لم يوافق عليه كما عند اخوان الصفا (٥٠) او انه لم يجر ذكر لتعليم المراة كما هي الحال عند ابن سينا والغزالي وابن خلدون (٥١) •

واعود الان لمعالجة البند الثالث باختصار مبينه تأثير الجوارى على وضع المراة المسلمة •

لا شك ان نظام العبيد كان مطبقا في الجزيرة العربية قبل بزوغ الاسلام

---

(٥٠) اخوان الصفا، الرسائل المجلد الرابع (المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بالقاهرة ١٩٢٨) ص١١٢

(٥١) كمال اليازجي معالم الفكر العربي (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦١) ص ٢٧٧ _ ٢٨٨

S. Rizvi, Islamic Philosophy of Education, M.A. Thesis Department of Education, A.U.B., 1963) pp. 126 - 141.

واستمر خلال حياة الرسول والخلفاء الراشدين مع دخول بعض تعديلات وتحديدات اتى بها الاسلام وكانت من صالح العبيد والجوارى (٥٢)

انظر الى حديث محمد علي الزعبي فيهن (٥٣) :

"كانت الجوارى في مختلف الاسنان والاجناس فمنهن الفارسيات والتركيات والارمنيات والجرجيات والشركسيات والروميات والبربريات والحبشيات. وكان ولاة الدولة وولاة الامصار يجمعون من اولئك انضرهن وانداهن صوتا وامثلهن ادبا ويرسلونهن الى الخليفة وهو يصطفي منهن من يشاء ويشيب وزراءه وندماءه وخلصاءه بمن يشاء"

"وكانت الجوارى انفس ما يتهادى به ذوو الافكار وبذلك انبتن في كل موطن وحللن في كل دار.

واذا آلمك ان تسبي العرب هذا العدد العديد من النساء فاعلم انهن اللواتي سبين العرب وملكن ازمتهم ووطئن اكتافهم واقتعدن ظهورهم وضربن بينهم وبين نسائهم بسور له باب ظاهره الحسن والدلال، وباطنه الذل والوبال، ذلك انهن اصبحن عقدة تلك الحياة التي لم يعصمها دين ولم يحط بها رفق ولم يخالطها وقار. حياة الشرف والترف والشهوات، وكان لهن من وسائل امتلاك قلوب العرب ما يروض كل عصي ويستقيد كل ابي ويستميل كل نافر ويستذل كل جامح حتى لذ هذا للحرائر اللواتي لم يكتب عليهن رق ولم يفرض فيهن حق فكن يتزيين بزى الجوارى ويدلفن الى سوقهن متسلحات سلاح الجمال والتجمل والادب حتى اصبح لهن ادب يدعى باسمهن ادب الجوارى."

وارى لزاما عليّ هنا ان احدد المقصود بلفظة "الجوارى" والجوارى المقصودة هنا هي تلك الفتيات اللواتي كن يأتين من جنوب اوروبا اى اليونان

---

(٥٢) لمعرفة التعديلات والاصلاحات انصح بالرجوع الى :
Sayed Amir Ali, *op.cit.*, pp. 258-267.

(٥٣) المدني ومحمد علي الزعبي : المرأة في السياسة والاجتماع (دار الانصاف ، بيروت ١٩٥٠) ص ٢٧ — ٢٨

وتركيا وبلاد العجم، وكانت هذه الفتيات يختلفن لا بالمنبت والملامح والثقافة فقط بل وفي تصرفاتهن وسلوكهن الاجتماعي وفي تعظم الحالات في عقيدتهن الدينية • ولما كن من محيط اجتماعي يختلف عن المحيط الاسلامي المحافظ فقد كن يسمحن لانفسهن بحرية لا تسمح بها المرأة المسلمة العربية لنفسها بها وهذا الاختلاف نفسه اضفى عليهن نوعا من الجاذبية جعل الرجال يتدافعون نحوهن واستطاعت الجوارى السيطرة على اسيادهن بل واستطعن في بعض الاحيان تسيير امور المجتمع من خلال ازواجهن وابنائهن • وقد ظهر اثر الجوارى واضحا خلال الخلافة العباسية اذ ازداد نفوذ المسلمين من غير العرب وذلك لان معظم الخلفاء العباسيين كانوا من ابناء الجاريات •

وانكمشت المراة الحرة وهي الفخورة باصلها ومولدها ودمها العربي عندما رأت انها لا تستطيع مجاراة الجارية في ميدان جذب الرجال • وقنعت بالسيطرة على المنزل حتى يكون لها ميدانا تختلف فيه عن الجوارى تمام الاختلاف ومر الزمن وازداد نفوذ الجوارى واصبح المركز الذى ارتضته المرأة المسلمة لنفسها مختارة لزاما عليها بفضل الركود والجمود واغلق باب الاجتهاد واصبحت جميع العادات الممارسة والمتعارف عليها ثابتة نهائية وقاطعة لا تنقض •

الخـــاتمـــة

وهكذا وعلى الاسس التي بحثناها في الفصل السابق والحالي نستطيع ان نصل الى الحقائق التالية :

١ ــ لقد جعل الاسلام العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة •

٢ ــ في حرمان المرأة من التعليم انكار للتعاليم الاسلامية وينتج عن ذلك انحطاط المجتمع الاسلامي •

٣ ــ كان تعليم المراة في العصور الاولى للاسلام يجرى في المنزل وعلى صعيد فردى مما كان يتماشى وحاجات العصر وكان يجب ان يتغير هذا الاسلوب مع تطور المجتمع الاسلامي وحدث من هذا الشيء القليل وبالتالي فان

تربية وتعليم المراة المسلمة لم يتطورالا بشكل ضئيل نسبي •

مع اقفال باب الاجتهاد لم يعد ملائما ان تراجع اساليب تعليم المرأة الذى استمر على مستوى فردى ودون مساعدة او رعاية من الدولة •

الفصـــل الرابـــع

العوامل التي اثرت في المجتمعات الاسلامية

وما نال المرأة منها

يعتبر الفصل الحالي تكملة للفصل السابق، حيث بحثنا نظرة الاســـلام الى المرأة بوجه عام، ونظرته الى تعلم المراة بوجه خاص، وبد تناول البحـــث ايضا وصفا لواقع المرأة في عصور الاسلام الاولى .

وسيتناول الفصل الحالي الظروف التي ساهمت في تحديد تعليم المـرأة المسلمة في مختلف البلاد الاسلامية . وسيكون الافتراض الرئيسي في هذا انه بينما كان المسلمون يتوسعون خارج الجزيرة العربية ، ناشرين الدين الاسلامي مـــع المبادىء الاجتماعية والثقافية ، بدأت عوامل البيئة الاجتماعية للبلاد التي دخلها الاسلام، تؤثر في العوامل الجديدة الوافدة . وبالتالي نجحت مع مرور الزمن فـي التأثير عليها ، وتعديل بعضها ، او صبغه بالطابع المحلي .

العوامل الثقافية التي تداخلت في الاسلام

لو درسنا المسيحية واليهودية دراسة مقارنة مع الاسلام، لوجدنا هنالك الكثير من المبادىء المشتركة بين الاديان الثلاثة . وكانت هاتان المجموعتـــــان الدينيتان الموجودتان داخل الجزيرة العربية تدينان بنفس الاسس الثقافيـــــة والعادات والتقاليد التي كان عرب الجزيرة الذين دخلوا الاسلام يدينـون بهـــا وبالتالي ، كان من الصعب التفريق بينها وبين المسلمين المحليين، من حيث هـذه الاتجاهات، الا في الحالات التي يكون فيها ضرورة لابتداع سنة جديدة لاحـد القوانين الاساسية .

واذا تجاوزنا عن تأثر المسلمين ببعض عادات الجاهلية ، من حيث معاملتها

للمرأة . تلك العادات التي ظهرت بشكل واضح بعد فورة الايمان القوية الاولى لاستطعنا القول ان الاسلام لم يواجه العناصر العربية عنه الا عندما ترك اتباعه بيوتهم محاولين نشر الدعوة بين المجتمعات المجاورة لمجتمعهم . وكانت اولاها المجتمعات البيزنطية والفارسية .

ومع ان البيزنطيين كانوا يعتنقون الديانة المسيحية الا انهم كانوا ما يزالون محتفظين بالكثير من التأثيرات الوثنية ويتعاطونها في حياتهم اليومية (١) . كما كانوا يمارسون الكثير من العادات الخاصة بهم الناتجة عن عوامل المحيط والبيئة التي يعيشونها .

ومع ان الفرس كانوا متاخمين للعرب، الا انهم كانوا يدينون بالزرادشتية وهي دين غريب على العرب ويتميز بطابعه المحلي القوى . والزرادشتية في الحقيقة ذات طابع وطني ونتاج لنمط معين من الحياة الاجتماعية ، ثم انها بخلاف الاسلام والمسيحية واليهودية التي تنتمي الى اصل سامي، تنتمي الى اصل آرى .

ولا يسعنا ان نهمل تاثير التعاليم البوذية والهندوسية على الاسلام، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار المسلمين الذين يعيشون في الباكستان والهند والملايو واندونيسيا ويبلغ عددهم المائتين وسبعين مليونا تقريبا .

كما علينا الا نهمل تأثير الفلسفة اليونانية ، اذ دفعت بعض علماء المسلمين الى نوع من الغلو والتشدد في الدين، بعد ان كان سمحا وسهلا . " فالاسلام مثلا يأمر بغسل الوجه عند الوضوء، فتأتي الفلسفة وتحدد معنى الوجه . وما تنطبق عليه كلمة الوجه . كأن المتوضئ مهندس مساح يريد تحديد الوجه بالمساحة والدين يندب الى السواك، فتأتي فئة مغالية لتفسر امر السواك وبحثه ، بم يكون، ومتى

---

(١)
Diehl, Byzantine Portraits, p. 109, "tr. by Harold Bell" (New York, Alfred A. Knopf, 1927) p.188.

يكون، وما حجم القشرة المنزوعة من عود الاراك، وكيف يستاك، وبعد ان يستاك كيف يضع السواك الى آخر ما هنالك".

لم يك هذا التشدد في الدين من صلب الاسلام قط، بل كان نتيجة لتأثر علماء الاسلام بالفلسفة اليونانية . فقد كان الاسلام يأمر بغسل الوجه ويندب الى السواك على الفطرة دون بحث او تحليق . ولم يتوقف تأثير الفلسفة اليونانية على هذا فقط بل كانت ايضا سببا من اسباب التفريق بين المسلمين حتى انقسموا فيما بينهم شيعا مختلفة كانقسام الامم قبلهم." (٢)

وليس من المستطاع تحليل هذه العوامل الوافدة التي تداخلت في الاسلام تحليلا عميق القرار لان هذا لا يقع في اطار البحث الحالي وسأكتفي بالاشارة الى هذه العوامل بحيث استطيع اظهار وجهة النظر المتعلقة بهذه الناحية والتي لها علاقة مباشرة بوضع المرأة .

تأثير الفلسفة الاغريقية

كان للفلسفة الاغريقية النصيب الاكبر في التأثير على المجتمع الاسلامي فقد فتحت ترجمة الفلسفة اليونانية ، وبعدها فلسفة افلوطينس الاسكندري، باب ابحاث جديدة بين المسلمين . ولقد نبعد كثيرا عن الموضوع لو حاولنا تحليل محتويات هذا الفكر وانما سنقتصر على بحث النتائج التي ادى اليها تداخل الافكار الاغريقية وتفاعلها بالفكر الاسلامي من حيث النظرة الى المرأة .

فبالرغم من ان الاغريق اشتهروا بابحاثهم العقلية ومستواهم الثقافي الا انهم لم يسمحوا للمرأة بان تتلقى العلم فقد طرد افلاطون النساء من مخطط جمهوريته واعتبر المرأة اقل مكانة من الرجل حتى اعتبر ان الحب الاسمى ليس له مكان الا بين الرجل والرجل

---

(٢) احمد امين - يوم الاسلام ص١٨٨ (دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٢)

ونفذت نظرة الاغريق الى المجتمع الاسلامي حتى ان معظم مفكرى الاسلام اخذوا يبحثون التعليم وكأنه وقف على الذكور فقط حتى ان الغزالي واخوان الصفاء اغفلوا ذكر تعليم المرأة فقد ذكروا في فصل قابلية الانسان على الصنعة ما يلي (٣) :

"اعلم ان قبول الصبيان تعلم الصنائع يختلف بحسب طباعهم المختلفة ... فمنهم من يحتاج الى توقيف (اى تعليم) شديد وحث دائم وترغيب وربما لا يفلح فيها اذا لم يكن فيها موافقا للطبيعة ."

ثم قالوا : "اعلم ان الاوامر والنواهي تختلف بحسب مراتب الآمرين والمأمورين في احوالهم فمن ذلك طاعة ... ومن طاعة الصبيان للمعلمين في قبول التأديب فيما هو صلاح لهم ، ومنها طاعة التلامذة للاستاذين في قبولهم الصنائع لهم ." (٤)

ويفسر الدكتور عمر فروخ هذه الاراء : "بان الفتيات يجب الّا يتعلمن" (٥)

اما جلال الدين الديواني (العالم الايراني الذى عاش في القرن الحادى عشر) فقد ذكر ان الفتيات يجب الّا يتعلمن حتى لا يكتبن رسائل حب (٦) .

التأثيرات البيزنطية والايرانية (٧)

ان اهم التأثيرات البيزنطية والفارسية على العرب الذين اعتنقوا الاسلام هي نوعية حياة البلاط في هاتين المبراطوريتين ، اذ انه من خلال البلاط تسللت العناصر الغريبة الى النظام الاسلامي الاجتماعي وقد كان الخلفاء الامويون اول من جارى تقاليد ومراسم البلاط البيزنطي والساساني . وتلاهم في ذلك التقليد الخلفاء العباسيون والفاطميون ، وكان كل يحاول جهده ان يفوق معاصريه ومن سبقوه الى هذه المظاهر .

---

(٣) اخوان الصفاء — رسائل اخوان الصفاء المجلد ١ (المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بالقاهرة ١٩٢٨) ص ٢٢٣

(٤) نفس المرجع السابق المجلد ٣ ص ٤٢٣ — ٤٢٤

(٥) عمر فروخ اخوان الصفاء (منشورات مكتبة منيمنة بيروت ١٩٥٣) ص ١٢٧

(٦) جلال الدين الديواني اخلاق جلالي (قم ، ايران ١٣٣١ م)

(٧) Amir Ali, op.cit., pp. 304, 222, 223, 258.

لن اتعرض لتفاصيل تأثير حياة البلاط على المسلمين، الآ بالنتائج التي تتصل بموضوع المراة • واني اعتقد ان اهم نتائج هذا التأثير الغير اسلامي هو دخول نظام الجوارى والخصيان والفصل بين النساء والرجال وهذه جميعا كانت تمارس في الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية • وسنتعرض فيما يلي لبحث وضع المرأة في هاتين الامبراطوريتين (٨) •

المراة في المجتمع البيزنطي

عندما نتكلم عن المراة في المجتمع البيزنطي يجب ان نفرق بين نساء الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، والطبقة السفلى، لان كل طبقة منها كانت تقود حياة تختلف كل الاختلاف عن حياة الطبقة الاخرى • اذ بينما كانت نساء الطبقة العليا يشاركن في حياة البلاط ويحضرن احتفالاته ، كانت نساء الطبقة الوسطى لا تكاد تغادر المنزل الآ لبعض الغايات الضرورية الخاصة • وقد وصف ديل Diehl (٩) نساء الطبقة الوسطى (وهن يمثلن الكثرة) في القرن الثامن وصفا يظهر الاعتقاد السائد بينهم بان المرأة في تلك الفترة كانت تصلح لداخل المنزل فقط، ولم يفكر احد قط في اشراكها في اعمال المجتمع • وبينما كانت الحالة تختلف مع المحظيات والسراري اللواتي كن ظاهرة واضحة ومتعارف عليها بين الطبقات العليا • كذلك وجود الخصيان الذين كانوا يتدخلون في شؤون الدولة والدور الذى لعبه هؤلاء في حكم قسطنطين السادس والامبراطورة آيرين دليل كاف على قوة نفوذ الخصيان • وقد تكررت هذه الظاهرة بوضوح خلال النصف الثاني من الخلافة العباسية •

كذلك لم يكن التعليم واضحا بين نساء الطبقة العليا • اما نساء الطبقة

---

(٨) للتوسع في نوعية حياة البلاط في الامبراطورية البيزنطية الفارسية فيرجى الرجوع الى :
حسن بيرنيا ، تاريخ مفصل ايراني (تهران وزارة فرهنك ١٣٣١م)

(٩) Charles Diehl, op.cit., pp. 73-105

المتوسطة فلم يأبهن او يأبه احد لامر تعليمهن . يقول ديل : (١٠)

" كان رب العائلة البيزنطية قلما يكترث بتعليم البنت ويحصر اهتمامه في تعليم الذكور من افراد عائلته وفي هذا الشأن، كما في كثير غيره ، وفي مجتمع شرقي كهذا ، كانت الفتاة تبقى دائما رهينة المنزل . فاذا لم يؤد الاهل واجبهم على الوجه الصحيح تحرم الفتاة من التعليم ، او تتلقى منه اقل القليل . وفي هذه الحالة يحصر الولي اهتمامه بان يهيء لها زواجا مناسبا ."

والمفهوم ان ديل Diehl عندما يتكلم عن مجتمع شرقي كهذا يعني مجتمعا شرقيا لتلك البلاد ولذلك الزمن اى المجتمع الفارسي والهندى والبيزنطي ، لان الملامح التي وصفها تنطبق تمام الانطباق على هذه المجتمعات الثلاث . هذا مع العلم انه لم يك هناك وجود واضح لمجتمع عربي او لثقافة عربية خلال القرنين السابع والثامن وهذا الواقع جعل تأثير العادات الاجتماعية على الثقافة الاسلامية اكبر واقوى نفوذا .

واذا استقصينا وضع المرأة في الامبراطورية البيزنطية ، نرى انه لم يرد لها ذكر في المدارس او الجامعات التي ذكرانها قد انتعشت وانتشرت في مختلف الاماكن من الامبراطورية البيزنطية ، اذ لم يسمح لها البتة بالانضمام الى هذه المدارس والجامعات . ولا يوجد اى مرجع يحدد نوع الثقافة التي كانت تتلقاها المرأة هذا اذا كانت تتلقى نوعا من التعليم في المنزل .

واني اعتقد ان الرأى الاساسي الذى كان يعتبر المرأة اقل منزلة من الرجل وليس في امكانها ان تأخذ دورا معينا في بناء المجتمع، قد اثر على نوعية حياتها وعلى مركزها في المجتمع . ولكي اوضح نظرة العلماء ورجال الدين البيزنطيين الى المرأة فاني اقتطف ما قاله ديل Diehl (١١)

---

(١٠) Ibid., pp. 107-108

(١١) Ibid.,

"لقد قبل الراهب البيزنطي افلاطون (١٢) القيام بتنظيم وادارة الدير الذى سيعيش فيه اقاربه وقد ادى واجبه على اكمل وجه اذ استبعد كل العبيد والنساء ومنع كل اناث الحيوان من الدخول الى الدير كما هي العادة السائدة بين الرهبان البيزنطيين ."

مركز المرأة في ايران القديمة

لم تختلف معاملة المراة الفارسية في فترة ما قبل الاسلام عن معاملة زميلتها في الامبراطورية البيزنطية . اذ في الواقع ان الزارادشتية اشد عداء للمرأة . اذ تعتبرها مساعدة لاهريمان اى الشيطان وتمثل الشر المجسم . يقول زاينر "Zaehner" في كتابه "فجر وشفق الزارادشتية" (١٣)

"ان كتب البهلوى صامتة عن اصل المراة لقد تمثل الخالدون في كل كتب البهلوى بشخصية الذكور ولم يستثنى ذلك الا في حالة آراماتي Armaiti اى العقل المستنير والتي تمثلت بالام الارض".

ويعود زاينر ليستشهد بالكاتب السرياني المسيحي تيودور باركوناى (Theodor bar Konai) الذى يصف المراة وصفا غامضا ويتعتها بانها تعمل الى جانب Ahriman اى الشيطان وقد اطلق علماء فارس عليها اسم Jeh ومعنى الاسم بالعربية هو (العاهر) ويعتقدون ان المراة خذلت الاله اهرمزد Ohrmazd وانضمت الى عدوه الشيطان اهريمان "Ahriman" ويقول زاينر Zaehner ان "كوناى" يصف سلوك النساء الاول على الشكل التالي : (١٤)

"بعد ان اعطى الاله اهرمزد Ohrmazd النساء الى رجال اتقياء صالحين، هربت النساء الى الشيطان . واذ ذاك اضفى اهرمزد على نفوس الرجال سكينة وسعادة . وبادر الشيطان فاضفى سعادة على نفوس النساء، وزاد على ذلك

---

(١٢) افلاطون هو راهب بيزنطي عاش في القرن السابع وهو غير الفيلسوف اليوناني الشهير .

(١٣) R.C. Zaehner, The Dawn and Twilight of Zarasterianism (New York, G.P. Putnam's Sons, 1961) p. 232.

(١٤) Ibid.

بان سمح لهن ان يطلبن ما تشتهيه نفوسهن • وخشي اهرمزد ان تطلب النساء مواصلة الرجال الاتقياء ، وبالتالي يسببن لهم الشقاء والهلاك • وحتى يتجنب هذه النهاية بادر الى خلق الاله نارسه Narseh وهو شاب في الخامسة عشر من عمره ، واوقفه عاركا هو وراء الشيطان على مرأى من النساء ، حتى يرينه ويشتهينه ، وبالتالي يطلبنه من الشيطان • وحصل ما توقعه اهرمزد اذ ما كادت النساء يرين الشاب ، حتى رفعن ايديهن قائلات : "ابانا الشيطان هلا منحتنا الاله نارسه هدية منك" •

وهكذا نرى ان الديانة الفارسية القديمة عاملت المرأة كبطلة رئيسية من بطلات الشر واداة لافساد الرجال •

ويقول زاينر ان الديانة الفارسية تعتبر ان الرجل هو ارقى مخلوقات الله ، وقد كوّن حتى يلعب الدور الاول في تدمير اهريمان Ahriman الشيطان والكذب The Lie • وكان منظر الرجل على جانب كبير من القداسة حتى ان "اهريمان" خر صريع الاغماء حالما وقع بصره عليه وبات ينظر الى الصراع معه دون امل كبير بالنجاح • (١٥)

وحتى نستطيع فهم وتقدير نظرة الزارادشتية الى النساء يجب ان نعرف ان المعنى الحقيقي الذى استعملته كتب البهلوى لكلمة المرأة هو (العاهر) وكذلك تعنى التي تحمل الاطفال • وفي هذا دليل واضح الى وضع المراة الحقيقي في المجتمع الايراني القديم • لقد كانت تعتبر آلة لانجاب الاطفال ولذلك فوجودها ضرورة لهذا الغرض فقط • وهي ليست شرا بالنسبة للرجل فقط ولكنها تسبب الالم للاله القادر القوى الحكيم اهرمزد الذى يندب عدم تمكنه الاستغناء عنها قائلا (١٦) :

"لقد خلقتك يا من تقارنين بجنس العواهر فقط • لقد خلقت بفم يلتصق بردفيك والجماع عندك احلى مذاقا من الذ طعام يدخل فمك ومع هذا فانت مساعدة لي ، لانك انت التي تنجبين الرجال ، ولكنك تؤلمينني انا اهرمزد ولو

---

(١٥) __Ibid.__

(١٦) __Ibid.__, p. 234.

وجدت وعاء آخر استطيع ان اصنع منه الرجل لما خلقتك البتة "٠

والنتيجة المنطقية لفلسفة كهذه هي ان المرأة شر لا بد منه ويجب على المجتمع احتمالها طالما هي ضرورة لانجاب الاطفال ٠

ولسنا في حاجة الى خيال جامح حتى نصل الى حقيقة ان مجتمعا يؤمن بفلسفة كهذه لن يعامل المرأة كعضو مساو للرجل فيما يتعلق بنظام البناء الاجتماعي وهكذا فان تعلم المرأة يصبح امرا غير ذي موضوع في مثل هذه الشروط٠

المرأة في المجتمع الهندوسي

على الرغم من ان المجتمعين الهندوسي والايراني ينتميان في الاصل الى بطن آرى واحد ويشتركان في كثير من الاشياء الا ان وضع المرأة الهندوسية يختلف عن زميلتها الايرانية ، هذا ان لم يفوقها سوءا ٠ اذ لا تعتبر المراة الهندوسية اقل من الرجل مكانه فحسب بل لا يعتبر لها وجود اطلاقا (١٧) ٠ وشعور المراة بنفسها وقوتها بالنسبة للمجتمع الهندوسي لا يتكون الا من خلال علاقتها بالاسرة وليس لها اعتبار في غير هذه الحالة ٠ ولذا نجد ان عملية Sati اى حرق المراة لنفسها مع جثة زوجها هي اكثر الاعمال تقى وورعا بالنسبة للمرأة الهندية ٠ وكزملائهم مفكرى ايران، لم يعتبر مفكروا الهند اى وجود مستقل للمراة انها بالنسبة لهم مجرد ظل للرجل ٠

لقد قامت ضجة كبيرة في الهند على اثر نشر كتاب الانسة مايو Mother India ولعل هنالك بعض المبالغات في الكتاب، ولكن الكثير من الملاحظات على جانب من الصحة ٠ فالمراة الهندية حتى في العصر الحاضر تتمتع باستقلال اجتماعي اقل مما تتمتع به مواطناتها من الاديان الاخرى ٠

---

(١٧) Margaret Comrack, <u>The Hindu Woman</u>, (New York, Teachers' College, Columbia University, 1953) p. 184.

وقد اجابت احدى الفتيات الهنديات على سؤال طرحته عليها الانسة كورماك اثناء بحثها عن وضع المرأة في الهند قائلة (١٨) :

"ان الطريقة الهندية في تقدير الفتاة لا تعطي على اعتبار كونها فرد، بل انها توزن مقابل الاملاك والدراهم والتحصيل واللون الفاتح وقلما نجد احدا يهتم بشخصيتها او بخلقها . ولذا فتقدير المراة لنفسها يصبح غير ذى موضوع ."

واذا كان هذا الادراك لا قيمة له في العصر الحاضر فكيف كان حال المراة اذن عندما دخل المسلمون الهند، وبدأوا ينظرون للمراة نظرة ايجابية ، تختلف تمام الاختلاف عما اعتادت عليه . وهذا الاتجاه السلبي للحياة في المجتمع الهندوسي لا يظهر تأثيره على المراة فحسب، بل يتعدى ذلك الى الرجل، ولا يظهر تأثيره بوضوح على المراة ، إلا لانها تعتبر تابعا للرجل . وهذا واضح في النهاية التي تصل اليها المراة التي يتوفى عنها زوجها . اذ تعتبر الارملة في الهند لعنة ، وحتى نستطيع توضيح وجهة النظر هذه ، يجب ان نرافق الفتاة ، ونتفحص مركزها في العائلة منذ الولادة . فالاب في المجتمع الهندوسي هو الدكتاتور المطلق في امور عائلته ، لا في الامور الدنيوية فحسب، بل بالامور الدينية ايضا . لقد اعتبر المقنن الهندى منو Manu الرجل نصف اله ، كما اعتبر ولادة الفتاة لعنة ونذير بالشر (١٩) ، ولكنها وقد ولدت فعليها ان تتدرب لتصبح زوجة مثالية "كسيتا" . (٢٠) تنسى نفسها وتمكث رهينة رغبات الاب والاخوة قبل الزواج ورهينة رغبات الزوج بعد الزواج . وينحصر تعليم البنت في تدريبها على شؤون البيت ورعايته . ومع تغير الظروف بدأت الفتاة الهندية تتلقى العلم . ولكن القانون الهندوسي يمنع ذلك من الناحية النظرية . وفي الواقع ان التعليم مسموح به للطبقة المميزة ، وهي طبقة البراهماء وهنالك عقاب صارم لكل من يحاول مخالفة

---

(١٨) <u>Ibid.</u>, p. 187

(١٩) <u>Ibid.</u>, pp. 4-6.

(٢٠) سيتا هي زوجة راما التي ثبتت على وفائها له على الرغم من غيابه مدة طويلة ثم طرده لها بعد عودته .

هذا القانون •

وناحية اخرى تظهر نظرة المجتمع الى المراة اذ ان المجتمع الهندوسي لا يسمح للفتاة بالاختلاط بسائر افراد الاسرة في فترة الحيض وبعد الولادة ، ولا بتناول الطعام وهي جالسة ، ولا بالدخول الى المطبخ •

وقد استطاعت الانسة كورماك تلخيص النظرة العامة للمجتمع الهندوسي الى المراة وذلك خلال بحثها مركز المراة الهندوسية الحديث والذى خضع بطبيعة الحال للكثير من التغيرات نظرا لدخول الاسلام والفكر الاوروبي على الفلسفة الهندوسية الاجتماعية •

تقول الآنسة كورماك: "ان الخضوع وعدم تكامل الشخصية الذى يميزان المراة الهندية له اتصال وثيق بنظام العائلة والمجتمع، حيث تعامل المرأة كتابع للجماعة ، لا كفرد مستقل وفيما يلي ملخص ما وصلت اليه في بحثها:

١ — لا تشجع المراة ابدا على المبادرة بالقيام بأى شيء بل ليس للمبادرة اى مكان في اسلوب الحياة الهندوسية بالنسبة للمرأة •

٢ — هنالك تأكيد على ضرورة التقيد بالواجب وتتجلى فضيلة المراة باحسن مظاهرها عندما تؤدى هذا الواجب المفروض عليها اجتماعيا •

٣ — لا يقبل المجتمع ان تكون المراة على شيء من الطموح ، ولا يشجعها عليه ، اوعلى اتخاذ خطوات جريئة قد تكون فيها بعض المغامرة ، او بعض الانحراف عن القيم الاجتماعية المتعارف عليها •

٤ — يدرب الاطفال منذ الولادة على العلاقات الاجتماعية ، بدل ان يدربوا على الحكم الذاتي او الاستقلال النفسي • ولا توجد هنالك اية اشارة لتوجيه الطفل كي يكون سيد نفسه وكل تأكيد لضبط النفس يظهر في اطار من القوانين الاجتماعية ويضع الجماعة في المكان الاول •

٥ — عندما تنمو الفتاة وتواجه فترة الحيض فانها تتقبل ذلك وكأنه قدرها المحتم المرسوم حتى انها نادرا ما تسأل عن اسبابه ومعناه •

٦ — تتعلم الفتاة منذ البدء انها تقل منزلة عن الفتى وهذا لا يعني ان الفتاة لا تعتبر الانوثة مهمة او ان الفتيات يتمنين لو كن قد ولدن ذكورا ٠

٧ — والنتيجة العامة هي فتاة مسلوبة الشخصية اذ ليس من الممكن ان تنمو شخصية قوية صحيحة تحت شروط اجتماعية كهذه (٢١) ٠

وهكذا نرى ان الاسلام قد دخل مجتمعات تخالفه في الرأى، وتنحرف عنه لا في آرائها الى العقل والدين فحسب، بل كذلك في اختلافها الكلي عنه ، من حيث نظرتها الى السلوك الاجتماعي ٠

ولا شك اننا نكون جد متفائلين لو تصورنا ان هذه المجتمعات ستتغير كليا لمجرد دخول الاسلام عليها ٠ لا شك ان عوامل التغير فعّالة وقوية ولكن هنالك عوامل "المحافظة على القديم" التي تعمل جنبا الى جنب مع عوامل التطور، وتحاول افساد او تأخير هذا التطور ٠ فاذا افترضنا ان المسلمين الوافدين الى هذه المجتمعات سيقومون بحركة تغيير شاملة للمجتمعات التي دخلوها، فاننا بذلك نخالف قواعد التغير الاجتماعي التي اثبتت انه خلال الخمسة آلاف سنة الاخيرة من التاريخ المدون، لم تستطع اية حركة دينية او سياسية ، او اى نظام اقتصادى، ولا اية حركة تتسم بالهوس والحماس، ان تنتشر في العالم، بل ولم تستطع ان تستمر في السير قدما وبانتظام الى نهايتها المنطقية (٢٢) ٠ وهذا المبدأ نفسه يطبق على الاسلام بشكل خاص، فوحدة صف المسلمين قد تحولت الى انشقاق ديني في النصف الاول من القرن الاول بعد وفاة الرسول ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى، ادى الى اندفاع حكام المسلمين في تقليد التجارب الثقافية العربية على الاسلام ٠ وبالاضافة

---

(٢١) <u>Ibid.</u>, pp. 199-200

(٢٢) George A. Lundberg, Clarence C. Schrag, Otto Larsen, <u>Sociology</u>, (New York, Harper Brothers, 1955) p. 718.

الى ذلك فان معظم تفسير المعتقدات كان يقوم بها جماعة من الصوفيين او الافراد ، لا نتيجة مجهودات منظمة تشرف عليها الدولة (٢٣) •

وهكذا لم يك هناك اية تنظيم وكانت نتيجة ذلك ان اعتناق الاسلام وتبنيه لم يكن بتوجيه اساسي واحد من قبل فئة مسؤولة • بل اخذ كل من رجال الدين المبادرة في تبني الطرق الخاصة بهم للتبشير بالدين • وهذا النقص في التنظيم كان له تأثير كبير على الذين دخلوا الاسلام حديثا فاحتفظوا ببعض عاداتهم الاجتماعية المحلية •

ومن اكثر الحقول التي ظهر فيها تاثير عدم التنظيم هذا ، هو حقل التعليم عامة ، وتعليم المراة على الخصوص • واني اوافق على ما نشرته مدام عباسي نتيجة لدراستها عن وضع المراة المسلمة اذ تقول : ان السبب الرئيسي لتجاهل تعليم المراة في الاسلام ، هو العادات والتقاليد والافكار غير الاسلامية ، التي دخلت الاسلام مع المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام • او من الذين لم يدخلوا الدين الجديد بعد • والضغط الناتج من المجتمع المسلم الى الاشكال الطارئة الغريبة التي كرست في الدين • وكأنها اشياء صحيحة من صلبه ، بينما لم تكن في الواقع الا تطرف في الحماس مصحوب بالتعصب ، كما انه لا يخلو من بعض الاندفاعات الشخصية • وسبب ذلك منع المراة المسلمة من القيام بمسؤولياتها العادية ، خاصة بعد ان اثبتت عجزها نتيجة لحالة الجهل التي اغرقت فيها • ونتج عن ذلك انحطاط المنزل وفساد المجتمع الاسلامي والنظام الاجتماعي الاسلامي (٢٤) •

ولا بد لنا من الاعتراف انه بمرور الزمن ولسوء الحظ ، نسي المسلمون معظم المبادئ الاجتماعية الهامة جدا التي وضعها الاسلام ، ومن هذه المبادئ المنسية ، ••••

---

(٢٣) تفصيل هذه المجهودات في تفسير المعتقدات يمكن ان يراجع في فاطمي دعوت اسلام ، حسن نظامي (الناشر مكتبة المنادى ، دلهي ١٩٤٤)

T.W. Arnold, The Preaching of Islam, (Lahore, Sharakat -e-Qualam, 1956).

(٢٤) Madame Z. Abbasi, "Women in Islam" Islamic Literature, (Lahore, Vol. IV, p. 700).

التعليم، وخاصة تعليم المراة • ومع نهاية القرن الثامن عشر اصبحت الحالة يرثى لهـــا •

وتيقظ المسلمون لهذه الحقيقة المرّة وكنتيجة لبدء الصراع مع اوروبـــا بدأت عدة حركات اصلاحية في العالم الاسلامي • وخرج من مختلف بلدان العالم الاسلامي مجموعة من المفكرين كمحمد عبدة ، وجمال الدين الافغاني ، والسيد احمد خان، ومحمد اقبال، وسيد اميرعلي، يتنادون باخراج المسلمين من الحالة الـــتي وصلوا اليها في ذلك الوقت• وشهد القرن التاسع عشر وطليعة القرن العشريـــن ازدياد قوة واندفاع تلك الحركات الدينية وكان تأثيرها واضحا في مختلف الحقـــول السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية • وليس من اختصاص هذه الاطـروحـة ان تقوم بتحليل هذه الحركات، وانما تختص بالنتائج التي نجمت عنها ، ومنها ان المجتمعات الاسلامية استيقظت على ضرورة مواجهة تحدى العصر الجديد واثبتـت على رغبة حازمة بالبقاء والحياة فيه (٢٥) •

واحد الاسس التي خرجت عنها هذه الحركات هي احياء وفتح باب الاجتهاد من جديد • فقد وافق كل علماء ومفكري المسلمين تقريبا على ضرورة فتح باب الاجتهاد وقد عبّر عن تلك الضرورة السيد اميرعلي بقوله ما معناه : (٢٦) ان سبب خمـــول المجتمعات الاسلامية الحاضرة يعود في اساسه الى الفكرة التي رسخت في عقـول عامة المسلمين بان الاجتهاد بعد الأئمة الاربعة ذنب وخطأ كبير• وان على المسلم الصحيح ان يهجر اجتهاده الخاص ويلجأ الى تفسيرات من عاشوا قبله بعشرات القرون، فهل يتوفر لهؤلاء فهم متطلبات القرن العشرين • كما تحدث محمد اقبـــال عن اهمية الاجتهاد قال : "من واجب كل مسلم ان يحاول غزو العالم عن طريق الفكر

---

(٢٥) من اراد التحليل الوفي لهذه الحركات فليراجع : H.A.R. Gibb, op.cit.

(٢٦) لقد سبق ونقلت القول كما هو في الفصل السابق صفحة

لا ان يسمح للعالم ان يغزوه وحتى يتمكن من ذلك يجب ان يعرف كل ما يجـــرى في العالم حواليه بكل دقائقه واذا اقفلنا الباب امام اى بحث او استقصاء كما حدث في القرون الماضية فاننا لن نستطيع ان نغزو العالم فكريا ." (٢٧)

ويقدم احمد امين في صحة الاجتهاد ووجوهه امثلة كثيرة منها (٢٨) :

" ١ ــ عمل كثير من الصحابة وخصوصا عمر في مقابلة الحوادث الفياضة التي واجهها من جراء الفتوح (٢٩)

٢ ــ قوله تعالى (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٣٠) وليس الاستنباط الا اجتهادا .

٣ ــ ما فعله ابو بكر فقد كان اذا نزل الامر يجمع اليه كبار الصحابة ــ ويسألهم هل في هذا نص من القرآن، فاذا لم يجد سألهم، هل يروى احد في هذا حديثا، فان وجد عمل به وان لم يجد شاورهم الرأى .

٤ ــ ان الاجماع نفسه وقد اجمعت الامة عليه هو معنى من الاجتهاد حجة بان يجمع الأئمة في كل عصر او الائمة كلهم في قطره فيكون رأيهم حجة ، وليس هذا الا ضربا من الاجتهاد .

٥ ــ ان الاجتهاد لو لم يكن، لوقف المسلمون جامدين، لان المدنية وخصوصا المدنية الحديثة تخلق حوادث جديدة وما لم تقابل بالاجتهاد وقفوا امامها حيارى لانها قد تتطلب تشريعات جديدة . وكذلك الاقتصاد

---

(٢٧) **Muhammad Iqbal, Reconstruction of Religious Thought in Islam, London, Oxford University Press, 1934) pp.14-15.**

(٢٨) احمد امين ــ يوم الاسلام (دار المعارف بمصر ١٩٥٣)

(٢٩) راجع يوم الاسلام احمد امين ص١٨٩ ــ ٢٠٠

ا ــ اوقف عمر حد الشرب على ابي محجن الثقفي لانه ابلى بلاء حسنا في الحروب

ب ــ واوقف حد القطع على من سرق ناقة لانه كان جائعا

جـ ــ واوقف الحدود في الحروب لما رأى في المحاربين اذا وقع عليهم الحد فروا الى الاعداء

(٣٠) ســـورة النســاء ، آية ٨٤

الحديث اوجد معاملات لاعداد لها تتطلب ان يعرف المسلمون اهي حلال ام حرام . ولا بد ان نساير الزمن .

٦ ـ كل عصر تتغير ظروفه فلا تكاد تمر عشر سنين او عشرين سنة حتى يحدث ما يغير النظر . فكيف اذا مر الف عام وهذه هي حكمة النسخ . والحكمة ايضا في ان الشافعي كان قد اسس مذهبه في العراق ، فلما جاء مصر رأى من البيئات ما يخالف بيئة العراق فغير مذهبه وسمى مذهبه في مصر المذهب الجديد ومذهبه في العراق المذهب القديم وقليل من البحث يرينا ان الفرق بين القديم والجديد ، فرق بيئة . نشأ من علم ما لم يعلم .

٧ ـ ان المجتهدين الكبار امثال ابي حنيفة ومالك والشافعي اجتهدوا وهم انفسهم لم يغلقوا باب الاجتهاد وراءهم ، بل رأوا انهم قد يخطئون في اجتهادهم كما قال الشافعي ، وانما اغلق باب الاجتهاد من هم اقل منهم شأنا واضعف شجاعة . ولو كان باب الاجتهاد دينا لاغلقوه هم ومنعوا غيرهم .

٨ ـ اننا اذا نظرنا الى ما بيننا من قوانين مدنية رأيناها تتغير بتغير العصور لان هذا التغير من طبيعة القانون ومن طبيعة الحياة الاجتماعية . والله تعالى العالم بما يحدث في الازمان المختلفة لم يشأ ان يقرر للنبي حكم المستقبل في جزئيات لان قيمة الحكم تابعة لعصره فاذا لم يوافق العصر كان نابيا ولو كان صحيحا".

لا شك اذن انه لا بد من ايجاد تجديد في الحياة المدنية عند المسلمين ولكن قبل ان نصل الى هذا لا بد من تحرير العقل من القيود التي فرضتها عليه قرون طويلة ظل التفسير الحرفي للنصوص وقاعدة الاجماع عليه هما المسيطران خلالها .

ومع ان الدوائر المختصة والمتصلة بامور الفقه لم تقبل بعد ، وبشكل رسمي فتح باب الاجتهاد من جديد ، الا ان روح العمل قائمة منذ النصف الثاني من القرن

التاسع عشر . وقد ادت هذه الى انواع عديدة من الاصلاح الاجتماعي في مختلف البلاد الاسلامية دون استثناء . وهذا هو السبب في ازدياد الرغبة في تعليم البنت بل ان هذا الاتجاه اصبح تقريبا دليل التقدم في تلك البلاد .

وفي الفصل القادم ساقوم بوصف قصير لمختلف النشاطات التعليمية في البلدان الاسلامية والمشاكل المتصلة بها . وساكتفي الان بالقول ان المجتمعات الاسلامية تبينت الخطأ الذى ارتكبته بتجاهلها تعليم المرأة . وقد اقبلت كلها بحماس على تصحيح هذا الخطأ . ولكن هذا ، كما اظن ، قد يقودهم الى اخطاء ابعد ، اذ انه لا يكفي ان تقوم المجتمعات الاسلامية بتقديم التسهيلات التعليمية للمرأة ، بل يجب ان تلاحظ نوعية الثقافة التي يجب ان تزودها بها حتى تساعدها لتصبح امراة مسلمة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة . وحتى تستطيع ان تأخذ على عاتقها تربية الجيل الجديد في مجتمعها الخاص بها . وهكذا يكون لها دور فعال وحقيقي في رسم هذا المجتمع .

الفصـــل الخامــــس

تعليم المرأة المسلمة في العصر الحاضـــــر

بحثنا في الفصل السابق ابتعاد المسلمين عن النصوص الاسلامية بسبـــب اختلاطهم بالامم المجاورة التي دخل عليها الدين الاسلامي وبسبب تاثرهم بالفلسفة اليونانية وبالعوامل الاجتماعية الايرانية والبيزنطية والهندوسية ، ولقد ساعـــد هذا على شل دور المراة في الاسلام ومنعها عن القيام بدورها التي اعطاها ايـــاه الاسلام • وكما ذكرنا تجمد الوضع بسبب اقفال باب الاجتهاد وغفل المسلمون عـــن تبين هذا الخطر حتى قامت الحركات التحررية في اواخر القرن التاسع عشر والربـــع الاول من القرن العشرين بسبب التحديات التي واجهها العالم الاسلامي من الدول الاوروبية مما سيرد تفصيله •

بدأت دول اوروبية دخول العالم الاسلامي مع طليعة القرن السابع عشر عن طريق التجارة وباسم مصالح اخرى • فقد دخلت هذه الدول اندونيسيــــة والملايو والهند ، هذه المجموعة من البلدان التي يمثل سكانها ثلاثة ارباع سكان العالم الاسلامي • وكانت اوروبه في ذلك العصر في قمة ازدهارها العلمي بينمـــا كان العالم الاسلامي في فترة انحطاطه • وبدأ يجرى نوع من المقارنة بين العالمين وكان مركز الثقل بجانب الاوروبيين طبعا ، واخذ البعض ينسب تأخر المسلمين الـــى الدين الاسلامي ويدعو الى التخلي عنه اذا ارادوا التقدم والتطور •

ومن الصعب تحديد التاريخ الذى بدأ فيه المسلمون يشعرون بضرورة التطور مع الجديد ولكن الواضح ان المعركة اسفرت عن وجهها الصريح بعد سقـــوط آخر رمز سياسي للحكم الاسلامي في تركيا • وشعر المسلمون انهم ان ارادوا الصمـــود والبقاء فعليهم ان يقبلوا بنوع من التطور ويتبينوا بعض الاشياء الجديدة التي تساعدهم على البقاء في ظل التنظيم الجديد للعالم •

واختلفت ردة الفعل بين دولة واخرى، فتخلى الاتراك عن الديـــن الاسلامي كدستور للحياة وفصلوا الدين عن الدولة واضعينه في المركز الثاني .

وحاول مسلمو الهند الحصول على وطن خاص بهم ليتمكنوا من انشـــاء دولة تقوم على الاسس الاسلامية الصحيحة . وتمسكت دول اخرى كالافغان والسعودية وبلاد الخليج العربي (بالقديم على قدمه) مظهرة استياءها مــن كل ما هو جديد ومتطور.

ونادى كثيرون بضرورة اعادة دراسة القديم وتقييمه على ضوء حاجـات المجتمعات الاسلامية الحديثة ، وبرز عدد كبير من العلماء كمحمد عبده ، وجمال الدين الافغاني والسيد احمد خان، والسيد اميرعلي ينادون بضرورة فتح بـاب الاجتهاد واعادة تفسير النصوص الاسلامية لتوضيح نظرة الاسلام الى كثير مـــن الامور التي استمر المسلمون يزاولونها مدة طويلة متأثرين بنظرة الامم الاخـرى . وفعل مرور الزمن واستمرار المسلمين في ممارسة هذه العادات الدخيلة فعلـــه حتى اصبحت شيئا واقعا . وساعد قفل باب الاجتهاد على تثبيتها في العقول وكأنها من صلب الدين . ومن هذه الامور مركز المرأة على العموم وحقها في التعليم علـى الخصوص .

واستجابت باقي الدول العربية والباكستان وايران للدعوة التحريريـة بعد ان تبينت الخطر . وادت هذه الدعوة الى نتائج ايجابية اذ اصابت كل البـلاد الاسلامية تقريبا، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، نوعا او آخر من التغيير مـع اختلاف في النوع والكمية . وقد لا نستطيع تحليل الاسباب التي ادت الى تفاوت النتائج في النظرة الى التطور (٢) ، ولكننا نستطيع القول ان المجتمعات الاسلامية قــد

---

(١) Ruth Francis Woodsmall Muslim Women Enter a New World, (New York, Round Table Press, 1936), pp. 21-28, 376-88.

(٢) من اراد معرفة المزيد عن هذه الاسباب فالرجاء ان يرجع الى

C.S. Smith; Islam in Modern India, Muhammad Asad; Islam at the Cross Road, (Lahore, Arafat Publications, 1955).

عددهن خلال ست وثلاثين عاما الى (١٢٠، ٤٨) طالبة (٥) •

العـــراق

منذ خمس وثلاثين عاما كانت المرأة المسلمة في العراق محجبة حبيســة الدار، لا تسهم في امور المجتمع في قليل او كثير• وتدلنا الدراسات انه حتى عـام ١٩٢٠ كان هنالك حوالي اثنتي عشرة مدرسة للبنات فقط زاد عددها عام ١٩٣٣ الى سبع وثلاثين مدرسة (٣٧) تضم الف طالبة (٦) • وقد ذكرت "ود سمـــول "Woodsmall" اثناء بحثها عن وضع المرأة في الشرق عام ١٩٣٠ (٧) ، "ان عدد الفتيات يزداد بنسبة اكثر بكثير من النسبة التي يزدادها الصبيان، وهذا التهافت على دخول المدرسة لا يشمل المدينة فقط بل يتعداها الى اقصى القرى فقــد انتشرت فكرة تعليم الفتاة وكثر محبذوها حتى ان اهل النجف وكربلاء، مزار الشيعة المقدس والمعروفتان بشدة تمسكهما بكل قديم، ارسلوا عام ١٩٣٥ التماسا يطلبون فتح مدارس للبنات ومع ان القوى الرجعية عارضت الفكرة في ذلك الوقت وسحبــت الالتماس، "الا ان تيار التعليم سار بقوة وما ان حل عام ١٩٦١ حتى زاد عدد البنات المسجلات في رياض الاطفال ٦٦٪ عما كن عليه عام ١٩٥٧• وقد بلغ مجموع البنات في المدارس الاهلية والرسمية في القسم الابتدائي عام ١٩٦٠ (٢٢٠،٩٨٠) طالبة وعدد المدارس (٥٠٢) مدرسة • اما عدد المدارس الثانوية فهي (١١٦) مدرسـة تضم (٣٢،٥٦٤) طالبة ، اما دور المعلمات فيبلغ عددها (١٤) دارا ومجمـــوع طالباتها (٢،٢٦٠) طالبة (٨) •

---

(٥) الاطلس التعليمي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ١٩٦٠

ب ـ المرجع الشامل، الصادر عن مصلحة الاستعلامات في الجمهورية العربية المتحدة لعام ١٩٥٢/ ١٩٥٣

جـ ـ الكتاب السنوى الصادر عن الجمهورية العربية المتحدة لعام ١٩٥٢/ ٥٣

د ـ تقرير السيدة كريمة السعيد المقدم في المؤتمر الاول لاتحاد الجامعيات العربيات ، بيروت ١٩٦٤•

(٦) Matta Akrawi, Curriculum Construction in the Public Primary Schools of Iraq, New York, Columbia University 1934

(٧) Woodsmall, op.cit., p. 185.

(٨) Republic of Iraq, Ministry of Education, Report on Educational Progress in Iraq, 1960, p. 3.

نجحت الى حد ما في التنبه والاستجابة الى الدعوات التي اطلقها علماء المسلمين والتي تطالب بدراسة النصوص الاسلامية لتنقيتها من الشوائب التي دخلت عليها . وكان وضع المرأة من اهم هذه الامور التي تناولها البحث وشهد مطلع القرن العشرين دعوات في مختلف العالم الاسلامي الى تحرر المراة والى ضرورة تعلمها .

المرأة في مصر

ابتدأ تعليم المراة في مصر يسير ببطء شديد فلم تتضاءل نسبة الامية التي كانت عام (١٩١٩) ٩٩٪ الا بنسبة ٣٪ فقط وذلك خلال ثمانية اعوام اذ وصلت نسبة الاميه عام (١٩٢٧) ٩٦٪ (٣) . واستمر تعليم الفتاة يسير ببطء حتى وصل عدد المدارس الابتدائية للبنات عام ١٩٢٧ تسعة عشرة مدرسة تضم الفين ومائة وسبع وثلاثين طالبة (٢١٣٧) اما مرحلة التعليم الثانوى فقد بدأت عام ١٩٢٥ وخلال عشر سنوات بلغ عدد المدارس سبعا تضم الف واربعمائة وعشرين طالبة (١٤٢٠) وتأخر دخول الطالبة الجامعة حتى عام ١٩٢٨ حيث دخلت ست طالبات كلية الطب في جامعة القاهرة (٤) . وتطور تعليم المرأة في مصر تطورا كبيرا خلال العشر سنوات الاخيرة ، واصبح له اقساما وفروعا واحتلت الفتاة في مصر كل مركز حتى لا تخلو منها اية كلية او جامعة حتى الجامعة الازهرية فتحت لها ابوابها عام ١٩٦٢ . وتضاعف عدد الطالبات واذا بالالفين ونيف في القسم الابتدائي عام ١٩٢٧ تصبح عام ١٩٦٣ (١،٢١١،٤٥٣) طالبة . والالف واربعمائة تتحول بالقسم الاعدادى الثانوى الى (٣٦٠،١٧٩) طالبة واذا بالطالبات الست يرتفع

---

(٣) دريـة شفيـق ، تطور تعليم الفتاة . تقرير مقدم للاتحاد النسائي ، عام ١٩٤٥

(٤) نفس المصدر

والمامة عاجلة بالتعليم الجامعي للمرأة في العراق يقودنا الى مدى الشوط البعيد الذى قطعه العراق حتى الان فقد بلغ عدد المتخرجات في الكليات والمعاهد التابعة لجامعة بغداد ٥٦٢٢ طالبة لعام ١٩٦٢ مقابل طالبة واحدة لعام ١٩٤٠ • وبلغ عدد الطالبات في كافة الكليات والمعاهد العالية (٣،٧٩٢) عام ١٩٦٢ مقابل طالبة واحدة عام ١٩٣٦ • وهكذا ينعكس هذا التوسع في التعليم الجامعي على مختلف قطاعات الدولة والحياة العامة ويظهر اثرها واضحا في كل ميدان من ميادين العمل (٩) •

المرأة في السودان

فتحت اول مدرسة لتعليم البنات في السودان عام ١٩٠٧ وهي مؤسسة خاصة فتحها الشيخ بابكر بدرى بعد ان رفضت حكومة الانجليز ذلك تهربا من مسؤولياته امام شعب كالشعب السوداني التقليدى المحافظ • ولم يأت عام ١٩١٠ الا وقد اعترفت الحكومة رسميا بمدرسة "رفاعة للبنات" وعندما تمهد لها الطريق بدأت تفتح بعض المدارس الاولية واكتفت بهذه المرحلة بما يقارب الاحدى وثلاثين سنة بعد تأسيس مدرسة رفاعة الاولى • ثم فتحت اول مدرسة وسطى عام ١٩٣٨ واول مدرسة ثانوية عام ١٩٤٥ اما دخول الفتاة السودانية للجامعة فقد تأخر كثيرا الا من طفرات شاذة كالتحاق الدكتورة خالدة زاهر بكلية الطب في جامعة الخرطوم سنة ١٩٤٥ • وقد كانت هي ومثيلاتها ممن اتيحت لهن فرصة الدراسة الثانوية اما في مدرسة التبشير المعروفة بمدرسة الاتحاد العليا للبنات بالخرطوم او في مصر (١١) •

وابرز العوامل التي ساعدت على انتشار تعليم الفتاة في السودان بل وتغير

---

(٩) صبحة الشيخ داوود ، اقباس من التعليم الجامعي ونصيب المرأة العراقية فيه ، تقرير مقدم للمؤتمر الاول للجامعيات العربيات المنعقد في بيروت عام ١٩٦٤

(١٠) مالك بدرى ، " تطور تعليم الفتاة في السودان" السودان "دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦٣) ص ٧٣، ٧٦ •

النظرة اليه • هي اقتناع السودانيين بان الاسلام لا يقف حائلا من المرأة والتعليم • وقد اعتمد المعلمون الاوائل على الاسلام في اقناعهم لمواطنيهم بجدوى تعليم الفتاة وقد اوضحوا لهم ان ما توهموه اسلاما انما هو في حقيقته عزما اقحمه الجهل والبداوة في قرارة النفوس وصبغ له قداسة من التقليد حتى خلطه بمبادئ الاسلام (١١) •

ومما ساعد على اقناع السودانيين ان الاسلام لا يقف مانعا للمرأة من طلب العلم ان جميع الدعاة لتعليم المرأة في السودان هم ممن لهم رصيد من الكفاح الاسلامي كالسيد عثمان الميرغني والامام محمد احمد المهدى والشيخ بابكر بدرى الذين عمقوا جذور الاسلام وبعضهم انفق العمر حاملا السلاح في سبيل الدين (١٢) •

ونجح دعاة العلم واذا بالتعليم في السودان يأخذ في الانتشار حتى بلغ عدد المدارس في القسم الابتدائي عام ١٩٦٠ (٥٣٦) مدرسة تضم (٨٧٣٤٢) طالبة وفي القسم الثانوى ٣ مدارس تضم (١٥٩٩٥) طالبة ودور المعلمات (٧) تضم (٣٤٤) طالبة وهنالك ٢١٣ طالبة في الجامعة (١٣) •

الدول العربية الاخرى

لقد بحثت وضع المرأة المسلمة في مصر والعراق والسودان وتتشابه الاتجاهات التعليمية بالنسبة للفتاة المسلمة في البلاد العربية اذ تمر الفتاة في مرحلة تقدم علمي مع بعض التفاوت بين بلد وآخر • فقد بيتت المجتمعات العربية النية على نبذ فكرة معارضة تعليم الفتاة (هذه الفكرة التي انبثقت من تأثير

---

(١١) نفس المصدر ص ٧٨

(١٢) مالك بدرى — المصدر السابق ص ٧٩

(١٣)

Educational Satistics, 1960-1961. (Educational Publications Bureau, Sudan, 1961).

المبادئ الاسلامية بالعوامل الدخيلة عليها) ولقد استمدت هذه الاتجاهات الحديثة قوة وزخما شديدين بعد الحركات التحررية والوطنية الاخيرة في البلدان العربية وخاصة بعد ثورة مصر عام ١٩٥٢ .

الاردن

اذا القينا نظرة على الاردن مثلا رأينا ان حركة التعليم فيها سائرة بسرعة واضحة فقد ارتفع عدد المدارس من (٢٦٨) مدرسة لعام ١٩٥٢ الى (٤٩٨) مدرسة لعام ١٩٦٠ وعدد المعلمات من (١١١٩) لعام ١٩٥٢ الى (٣٠٧، ٣) معلمة لعام ١٩٦٠ والطالبات من (٣٦،٤٨١) طالبة لعام ١٩٥٢ الى (٩١٨٩٧) طالبة لعام ١٩٦٠ (١٤) .

الجمهورية السورية

ولم تتخلف الجمهورية السورية عن الركب فقد اخذت تسجل الارتفاع في نسبة التعليم بين فتياتها فقد ارتفع عدد الطالبات في القسم الابتدائي ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٦٠ من (٤٥،٩٣١) الى (١٢١،٥٣٢) طالبة . وارتفع عدد طالبات القسم الثانوى ما بين نفس العامين من (٣،١١٣) طالبة الى (١٥،٨٩٢) طالبه وارتفع عدد طالبات دور المعلمات من (٤٥) طالبة عام ١٩٤٥ الى (٤٤٠) طالبة عام ١٩٦٠ وطالبات التعليم المهني بين العامين من (٣٢٢) طالبة الى (١٢٢٠) طالبة اما التعليم الجامعي فقد ارتفع عدد طالباته من (٦٩) طالبة لعام ١٩٤٥ الى (١،٧٣٦) طالبة لعام ١٩٦٠ (١٥) .

---

(١٤) التقرير السنوى لوزارة التربية والتعليم لعام ١٩٦٠/ ١٩٦١ (المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان)

(١٥) (أ) الدكتور متى عقراوى ، التربية في الشرق الاوسط العربي (المطبعة العصرية ، القاهرة ١٩٦٠) ص ٤٥٥

(ب) الاطلس التعليمي للدول العربية (المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي ، سرس الليان ١٩٦٠) ص ٣٣، ٤٢

(جـ) International Year Book of Education Vol. XXIII PP. 448, 497.

الكويـــــت

اما الكويت فمع انها بدأت نهضتها التعليمية متأخرة الا انها ســـارت بسرعة ، فبعد ان كان عدد المدرسات عام ١٩٣٨ خمسا فقط اصبح عددهن عـام ١٩٦١ (١١٨٠) مدرسة ، وارتفع عدد الطالبات من (١٤٠) طالبة لعـــام ١٩٣٨ الى (٢٠٢٣٠) طالبة لعام ١٩٦١ ، وارتفع عدد المدارس من مدرسة واحدة لعام ١٩٣٨ الى (٤٣) مدرسة عام ١٩٦١ هذا عدا العدد الكبير الذى يدرس خارج الكويت في مختلف الاقسام الثانوية والجامعية (١٦)

المملكة العربية السعودية

اما المملكة العربية السعودية فقد ابتدأ الاتجاه الى تعليم الفتاة بهـا على ما اعتقد في اواخر العقد الاربعين واوائل الخمسين واعني هنا غير التعليم الديني بمعنى القرآن لان هذا كان قائما قبل ذلك بكثير ، واظن ان لنكبة فلسطين تأثـير في تشجيع تعليم الفتاة اذ هاجرت الفتيات للعمل هناك كمدرسات في بعض قصـــور الامراء والاغنياء واتسعت الفكرة حتى اصبح لا يكاد يخلو اى بيت غني من معلمة خاصة للبنات ، وفي عام ١٩٥٧ افتتحت احدى السيدات اللبنانيات مدرسة في جدة واتبعتها سيدة فلسطينية وافتتحت مدرسة للبنات في الدمام في القسم الشرقي من المملكة ، الا ان بعض الفتيات السعوديات بدأن في مغادرة المملكة للدراسة خارجا وخاصة في مصر (١٧) ،

تـــركيـــا

لقد سجلت العشر سنوات الاولى من حياة الجمهورية التركية تقدما ونموا ملحوظين في تعليم الفتاة التركية وتقول "Woodsmall" (١٨) ان عدد المدارس

---

(١٦) الاحصاءات مستقاة من التقرير السنوى لوزارة التربية والتعليم في الكويت لعام ١٩٦١/ ٦٢٠ ص١٦، ١٧، ١٨٠

(١٧) المعلومات الواردة عن السعودية تعتمد على معلوماتي الخاصة

(١٨) Woodsmall, op.cit., p. 219. Quoted from: Basvekalet-Istatistik Umum, Mudurlugu-Maarif Istatiklari, 1933-34, Ankara, Develet Matbassi, Istanbul, 1935.

الابتدائية قد ارتفع من (٤٨٩٤) عام ١٩٢٤ الى (١٩٧٧٧) عام ١٩٥٧ • وارتفع عدد المدارس الثانوية من (٥٩) مدرسة لعام ١٩٢٤ الى (٥٥٨) مدرسة لعام ١٩٥٧ وارتفع عدد طالبات الجامعة من (٢٨٥) لعام ١٩٢٤ الى (٥٣٩٨) عام ١٩٥٧ " ووصل عددهن الى (٩٩٥١) طالبة لعام ١٩٦٠ اما عدد طالبات القسم الثانوى فبلغ (٧٩٦٨٨) طالبة عام ١٩٦٠ وبلغ عدد طالبات القسم الابتدائي للعام نفسه (٩٥٦٧٦٦) طالبة ، وطالبات التعليم المهني (٢١٦٩١) طالبة (١٩) •

وتقول Woodsmall ان المراكز التي تشغلها المرأة التركية لعام ١٩٦٠ تلقي ضوءاً على تقدمها العلمي والى مشاركتها في الحياة الاقتصادية في البلد فقد عملت في سلك التعليم والطب، وهنالك اربعة يعملن في سلك القضاء وعدد آخر يعمل في الجامعة والبوليس والمواصلات وسائر الخدمات العامة • وتضيف الكاتبة في تقريرها ان احصائيات عام ١٩٥٥ تظهر ان (٦١٨،٠٥٦، ١) امرأة لا تعمل من اصل مجموع (٨٧٣،٣٧٤، ١١) ومن هؤلاء يوجد (٥٨٤،٢١٥، ٤) يتراوح سنهن ما بين صفر و ١٤ سنة و (٩٤٢،٤٤٢) غير قادرة على العمل بينما احصاء عام ١٩٢٧ يظهر ان عدد العاملات لم يتجاوز (٧٠٣،٤٨٢، ١) من اصل مجموع (٠٨٤،٣٩١، ٧) وكانت الغالبية من هؤلاء النسبة يعملن في الزراعة وبضع مئات يعملن في حقل التعليم (٢٠)

ايـــــران

كادت فكرة تأسيس مدارس للبنات في ايران عام ١٨٩٨ تقود الى هيجان شديد ولكن هذا الموقف المتشدد ما لبث ان انهزم امام عوامل التطور، ومع تباشير عام ١٩٣٦ استطاعت الفتيات الايرانيات الذهاب الى المدرسة دون خوف والفضل

---

(١٩) International Yearbook of Education, Vol.XXIII, 61 (Bureau of Education, Geneva 1091) pp. 481, 497.

(٢٠) Woodsmall, op.cit..

في ذلك يعود الى جهود السيدتين "صديقة دولتشابادى" و "آزنودة خانم" (٢١) اللتان بداتا الجهاد في سبيل تعليم البنت على الرغم من المعارضة حتى وصل عدد المدارس عام ١٩٣٣ (٨٧٠) مدرسة تحتوى على (٥٠،٠٠٠) طالبة ويزداد التيار تقدما حتى يصل العدد عام ١٩٥٦ الى (٣٠٩٢٠٠) طالبة في القسم الابتدائي والى (٢٢١٣٧) طالبة في القسم الثانوى و (٨١) طالبة في الجامعة وتضاعف الاقبال على العلم وارتفعت النسبة ارتفاعا ملحوظا عام ١٩٦٠ فقد بلغ عدد طالبات القسم الابتدائي (٤٢٨٩٣٣) طالبة وعدد طالبات القسم الثانوى (٧٢٣١٧) طالبة ودور المعلمات (٣١٩٢) طالبة وعدد الطالبات اللواتي يدرسن في الجامعة (١٢٧) طالبة (٢٢)

الباكستان

كتبت Woodsmall عام ١٩٣٥ عن وضع المرأة المسلمة في الهند، لقد كانت ردة الفعل التي اظهرها مسلمو الهند، نتيجة خوفهم من الذوبان في الاكثرية الهندوسية قوية فقد اصر بعض القادة المسلمين على الحصول على مدارس خاصة بهم ولم يحاولوا البتة الاستفادة من التسهيلات التعليمية الموجودة في الهند آنذاك وقد تكلم احد هؤلاء القادة، وهو متخرج من جامعة اكسفورد، امام بعثة سيمون الثقافية قال: "اننا نريد لفتياتنا تعليما يسير على النظم الاسلامية واذا لم نحصل عليه فاننا نفضل بقاءهن خارج المدرسة" (٢٣)

كان لتعليم الفتاة المسلمة في الهند مشاكله التاريخية الخاصة فقد كان المسلمون خلال حكم المغول، يرسلون باولادهم الاناث منهم والذكور الى المسجد

---

(٢١) Woodsmall, Moslem Women, op.cit., p. 84

(٢٢) International Yearbook of Education, Vol. XXIII, 61 (Bureau of Education, Geneva 1961) pp.481-97

(٢٣) Woodsmall, Moslem Women, Ibid., p. 163

لتلقي العلم وبعد سن معين تواصل الفتاة تعليمها في المنزل . اما فكرة اقامة مدارس للبنات فلم ترد اطلاقا (٢٤) . ولما افتتحت مدارس للبنات ايام الحكم البريطاني واجه المسلمون مشكلة مزدوجة فقد كانت هذه المدارس تتبع المؤسسات التبشيرية او الحكومة الاجنبية وفي كلا الحالين كان الذى يقوم على امر التعليم فيها اما جماعة من الهندوس او من المسيحيين مما اثار القلق والخوف في نفوس المسلمين وخشوا على فتياتهم من الفتنة والفساد . ولعل تصرفات بعض المتخرجات (٢٥) من هذه المدارس ساعدت الى حد بعيد على ترسيخ الفكرة في عقول العامة مما ادى الى رفضهم قبول ارسال فتياتهم وبالتالي تم حجزهم في البيوت . ومع مرور الزمن وبسبب الجهود الجبارة التي بذلها السيد احمد خان لان المسلمون واتفقوا على ان يرسلوا فتياتهم للمدارس بشرط ان تكون مدارس خاصة بالفتيات المسلمات . وبدأ التعليم ينتشر بين المسلمات وقد ذكر Woodsmall في تقريرها ان عدد المسلمات اللواتي كن يدرسن في كلية الآداب عام ١٩١٧ كان ست فتيات فقط من مجموع سكان يبلغ خمسة وسبعين مليونا ووصل العدد عام ١٩٢٧ الى ثلاثين طالبة فقط . ولكن هذه الحالة تغيرت بعد حدوث التقسيم وانشاء دولة الباكستان المستقلة تقول Woodsmall :

"ان عدد الفتيات اللواتي اخذن يطلبن العلم بدأ يزداد زيادة مطردة فقد بلغ عدد طالبات المدارس الابتدائية عام ١٩٥٥/ ٥٦ (٣٦٤،٣٥٥) من مجموع (٣،٥٤٣،٩١١) فتاة في سن التعليم وبلغ عدد الطالبات في القسم الثانوى (٨٤٠٠٠) طالبة من مجموع مليون وربع فتاة . ولقد ازداد عدد المدارس من خمسة وخمسين مدرسة وقت التقسيم الى ست وسبعين مدرسة عام ١٩٥٦ (٢٦) ."

---

(٢٤) اخبرني احد الزملاء الباكستانيين ان من اراد الحصول على صورة واضحة لتعليم الفتاة المسلمة في الهند فليرجع الى قصص الدكتور نذير احمد المكتوبة باللغة الاردية والمنشورة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة فزان المبتلي وزوريا صديقي

(٢٥) ذكر لي بعض الزملاء الباكستانيين ان هؤلاء المتخرجات كن موضعا لقصة قصيرة كتبت باللغة الاردية .

(٢٦) Woodsmall, op.cit., p. 107.

المحافظة على الشخصية المسلمة ومحاولة اثباتها

لعل الصورة الاحصائية السريعة التي سبقت تلقي ضوءاً على ما قد وصل اليه تعليم الفتاة في البلاد الاسلامية واظنها تقود الى نتيجة واضحة ان الاسلام لم يمنع المراة في يوم من الايام من التعليم وانما كان حرمانها من هذا الحق باثر العوامل البالية الغريبة عن الاسلام • وما ان نادى علماء المسلمون بضرورة تعليم المراة كما نصت المبادئ الاسلامية حتى لبت كثير من المجتمعات الاسلامية ذلك كما رأينا • وكان المخطط التعليمي الذى سار عليه المسلمون متماشيا مع المقاييس الاوروبية • ولعل البلدان الاسلامية في اندفاعها المتحمس لنشر التعليم بين ابنائها قد نست او تناست ان اى نظام تربوى ينقل من خارج البلاد قد يعرضها للتحلل والذوبان في ثقافات غيرها من الامم • وان اى نظام تربوى يجب ان ينبثق من النمط الحياتي لتلك البلدان ويعتمد على تراثها الثقافي • ولست اظن ان الدول التي تخلت عن التمسك بالقيم الاساسية للدين تواجه اية مشكلة فهي تستطيع قبول كل ما يردها وقد تكيفه حسب حاجاتها • ولكن الحال يختلف بالنسبة لمن يتمسك بهذه القيم الاساسية للدين، لان الدين الاسلامي يحيط بكل ما يدور حوله ويتفاعل مع المجتمع فهو يهدف الى تنقية الفرد والى تحسين المجتمع وعلى هذا "فلا يمكننا الا التسليم بان الاسلام دين لا يمكن ان يمارس الا في داخل اطار المجتمع (٢٧)" اما ان نفعل ما فعلته تركيا فنفصل بين الدين والدولة فهو انكار لعقيدة الاسلام الاساسية وعلينا اما ان نتخلى عن الاسلام كدين وتشريع او نقبله كما هو • اما الايمان الجزئي فلا يعني شيئا •

وبناء على هذا يجب ان تهدف التربية الاسلامية الى اعداد مسلمات عاملات متجددات في التفكير وهذا لا نصل اليه الا بقبول المبادئ الاسلامية الاساسية وتفهم روحها السمحة •

---

(٢٧) Muhammad Asad; Islam at the Crossroad, (Lahore, Arafat Publications, 1955) pp. 10-19.

مبادئ التربية الاسلامية (٢٨)

اول مبدأ من مبادئ التربية الاسلامية هو تهيئة الفرص التعليمية المتكافئة لجميع المسلمين دون تفضيل طبقة على اخرى (٢٩) او ليس طلب العلم فريضة على الجميع فكل من ينادي اذن، بان تعليم الفتاة المسلمة هو ضد تعاليم الاسلام ينكر مبدأ هاما من المبادئ الاسلامية ٠

ويلي هذا المبدأ في الاهمية ، كما اعتقد ، موقف الاسلام من العلم ٠ فالعلم حسنة وتحصيله حق بل واجب على كل مسلم ومسلمة ٠ ولا يمنع الاسلام تعلم اى موضوع من الموضوعات العلمية او الطبيعية ٠ وقد بحث هذه النقطة بتوسع كل من احمد شلبي وسيد اميرعلي واحمد امين وغيرهم ردا على بعض المغالين من رجال الدين المسلمين او بعض الكتاب الذين ذكروا ان الاسلام يحرم دراسة العلوم والفلسفة او المواضيع التي لا تربطها علاقة مباشرة بالدين، وليست هنالك فكرة تصنيف العلوم الى دينية ودنيوية لان هذا لا يلائم الاطار الذى جاء به الاسلام بل اننا نبتعد كثيرا عن المبادئ الاسلامية لو حاولنا ادانه احد المواضيع او الحكم بالقضاء المبرم على غيره ٠

لا ننكر ان الغزالي قد اعتبر بعض المواضيع مذمومه (٣٠) ولكننا يجب ان نعترف انه على الرغم من علم الغزالي ومقدرته فكلماته لا يمكن ان تعطى الافضلية على ايات القرآن واحاديث الرسول ٠ اعلان الغزالي هذا كان يستند الى مهال سياسي وصوفي معين ولا يمكن ان يطبق في كل الاجواء او الازمان او الظروف ٠

يقول طوطح : "ان الدافع عامل هام في تحديد ثقافة الفرد وغاية التعليم الاسلامي مزدوجة وهي الحصول على رضى الله تعالى عن طريق البر والتقوى والعدل

(٢٨) لقد اعتمدت في هذا الجزء من الاطروحة على اطروحة السيد سجاد رزقي : فلسفة التربية الاسلامية المقدمة الى دائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت ١٩٦٣٠

(٢٩) الفصل الثاني ص١٩ و ٢٢

(٣٠) الغزالي — احياء علوم الدين (القاهرة — مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩ ص ٣٥ — ٣٨

والايمان وهذه الغاية الثانية والقصوى يصاحبها هدف آخر ذاتي يتغير بتغير الظروف والمناسبات ويختلف باختلاف البيئة والعوامل الاجتماعية • فاذا كان الدافع للتعلم هو الحصول على هذين الهدفين القاصي والداني ، تعتبر تربية الفرد آنذاك تربية اسلامية وكلمة التربية الاسلامية (٣١) مرادفة لكلمة معرفة التعاليم الدينية والعمل بها مع الحصول على المعرفة الكافية لنقل التراث الثقافي الى الجيل الجديد وبالتالي حفظه من الضياع (٣٢) والاضافة عليه •

وبما ان الاسلام فرض العلم على كل فرد من اتباعه فهو كما ذكرت سابقا لم يستبعد المراة من حق التعلم ولكنه وضع بعض الفروق بين تعليم الذكور والاناث كل حسب دوره في المجتمع •

والتربية الاسلامية تضع نصب عينيها هدفا اساسيا هو اعداد الافراد لمجتمع اسلامي صحيح • انها تعد افرادا يتحملون مسؤولية اعمالهم وتبعاتهم ولذا فان الامر الاساسي في هذا الشأن والذى سبق واشرت اليه اكثر من مر هو فتح باب الاجتهاد من جديد لان اغلاقه هو المسؤول الى احدما عن خمول المجتمعات الاسلامية وركودها طيلة القرون الماضية •

التربية التي تحتاجها المراة المسلمة

قبل ان نحدد التربية التي نريدها للمرأة المسلمة يجب ان نحدد اولا ما هي اهداف هذه التربية ثم الحاجات التي تدعو اليها ومن ثم نضع الاسس العملية •

الاهداف

هنالك هدفان مترابطان وتحقيق احدهما يقود الى تحقيق الآخر واولهما

(٣١) Khalil A. Totah, op.cit., pp.68-87

(٣٢) سجاد رزقي المصدر السابق ص ١٣٥-١٥٤

تعليم المراة المسلمة تعليما يساعدها على القيام بوظيفتها التي اعطاها اياها الاسلام بحيث تؤهلها للنهوض بالاسرة وهذه بالتالي تقود الى تحقيق الهدف الاقصى والاساسي وهو النهوض بالمجتمعات الاسلامية •

الحاجات

١ ـ النهوض بالمجتمعات الاسلامية المتخلفة علميا واجتماعيا •

٢ ـ تقريب الهوة بين ما تتعلمه الفتاة وما تواجهه في الحياة •

٣ ـ اعداد الفتاة اعدادا صحيحا يهيئها لوظيفتها الاساسية التي اعطاها اياها الاسلام •

الاسس العملية

وحتى نستطيع تحقيق هذه الاهداف يجب اولا ان ندرس الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل مجتمع من المجتمعات الاسلامية على حدة • وقد تجد انها قد تختلف ببعض حاجاتها وبالتالي فان تربيتها ستختلف نوعا ما تبعا لاختلاف الحاجات والظروف• ولكننا لو درسنا وضع البلاد الاسلامية لوجدنا هنالك تشابها في التراث الديني وكذلك المشاكل التي تعانيها (٣٣) • فمعظمها قد حصل على الحكم الذاتي منذ فترة قصيرة • واننا نرى ان يأتي الاصلاح عن طريق دراسة دقيقة لكل مجتمع اسلامي ومن ثم القيام باصلاحات معينة تؤدى الى تحقيق وحدة الشعور بين ابنائها • وفي رأيي ان اصلاحا كهذا

١ ـ يجب ان يبدأ بالعائلة لانها اصغر وحدات المجتمع ومنها ينطلق اى اصلاح جزئي •

٢ ـ انطلاقا من هذه الحاجات يجب ان نعد برنامجا تربويا له اتصال وثيق

---

(٣٣) H.A.R. Gibb, op.cit., pp. 12-13

بالدين (٣٤) والصلة بين الدين والتراث الحضارى ظاهرة واضحة بالنسبة للمجتمع الاسلامي •

لب الدين او اتصل به في مظعم الحالات مع بعض التعديل • انه مزيج من الملامح الواضحة في السياسة والاجتماع والنظام الاقتصادى • فـــي نظرته الى القانون والخلق، في اتجاهاته العلمية ، وفي عاداته فـــي التفكير والعمل •

وهكذا نصل الى القول ان اى نظام تربوى لاى مجتمع اسلامي لا يصـــل الى النجاح الكامل ما لم يستند الى المبادئ الاسلامية لان النتيجـــة المتوقعة في تلك الحالة هي الصدام بين النتائج التي تصل اليها التربية المخالفة لتلك المبادئ وبين التراث الحضارى لهذا المجتمع• وصدام كهذا لا تستطيع ان تتغلب عليه الدولة بسن القوانين وفرضها (الفـرق في تركيا بين المدن والقرى من ناحية تطبيق عملية فصل الدين عن الدولة)

٣ ـ بما ان الاسلام قد اعطى المراة دورا رئيسيا في بناء الامة وذلك بان تأخذ على عاتقها مسؤولية بناء الاجيال الطالعة وبالتالي المساهمة في تحقيق الاهداف التربوية عن هذه الطريق، لذلك يجب ان تتناول التربية توضيح وتغذية وانماء فكرة هذه الوظيفة الاساسية التي كرّم الاسلام بهـــا المراة ، واشعارها باهميتها ومحاولة اقناعها ان دور الفتاة الرئيســي هو الامومة اذ ان هذه هي الطريق الصحيح لبناء المجتمع •

حتى نصل الى تحقيق هذه الغاية ، يجب تكييف البرنامج الدراســي الحالي بحيث يتناول المواضيع التي تساعد المراة على تأدية هذا الدور• لـــذا يستحسن اضافة بعض المواد التي تساعد في تحقيق هذه النهاية كعلم نفس الطفل والعلاقات الاجتماعية والعلاقات الانسانية والتدبير المنزلي والتربية الدينيـــة

---

(٣٤) a) Elizabeth K. Nottingham, Religion and Society, (New York, Doubleday and Co. Inc., 1944) p. 2

b) Joachim Wach, Sociology of Religion, (Chicago, The University of Chicago Press, 1944) p. 6.

(والتربية الدينية التي اقصد تختلف كثيرا في الشكل والمحتوى عما يطلق اليوم على اسمها . اذ ان التربية الدينية اليوم لا تأخذ بعين الاعتبار والتقدير المشاكل الاجتماعية والسياسية والعلمية التي يواجهها العالم الاسلامي الحديث.) (٣٥) على ان يكون تدريس هذه المواد اجباريا لكل فتاة بالاضافة الى المواضيع العلمية . ولا بأس لو خففت بعض المواضيع الثانية للحصول على نوع من التوازن . اما ان تبقى المواد كما هي بعيدة عن متطلبات الحياة العادية فانها بهذه الحالة تعد الفتاة لحياة العمل فقط، بينما لو مزجنا بين الاعداد لحياة العمل والمنزل فقد نصل الى اشعار الفتاة بمسؤوليتها تجاه المجتمع وتجاه البيت . والبيت يأتي بالدرجة الاولى كما تقول مدام عباسي (٣٦) :

"ان الاسلام قد اسند مهمة بناء الامة الى المرأة وهذه المهمة تنقسم الى شطرين هامين اولهما بناء البيت وثانيهما بناء المجتمع . وكل من الشطرين مكمل للاخر وتابع طبيعي له . ومسؤولية بناء البيت تقع على عاتق المرأة كلية بينما هي تشارك افراد الامة الاخرين مسؤولية بناء المجتمع."

توضيح فكرة العمل بالنسبة للفتاة المسلمة

ان الاسلام لم يمنع العمل اذ لم يرد اى نص قرآني بهذا الشأن كما لم يتناوله الحديث وقد كانت اسماء بنت ابي بكر تحتطب لتساعد زوجها . وبالتالي فان المرأة المسلمة تستطيع القيام باى عمل - لم يحرمه الدين والخلق - الا انه من الضروري توجيه الفتاة الى اعتبار الامومة عملها الاساسي الذى يجب ان يأتي بالدرجة الاولى . لاننا اذا اردنا الوصول الى تكوين عائلة صحيحة متماسكة فاننا نحتاج الى الام التي تعطي اقصى اهتمامها لعائلتها واولادها . ولست اظنها تستطيع القيام بذلك لا من الناحية الجسمية ولا الروحية اذا كانت تعمل طيلة يومها خارج المنزل، لا فرق في ذلك بين التي تتقاضى اجرا على عملها او التي تصرف وقتها

---

(٣٥) K.G. Sayyidain, Iqbals Educational Philosophy, (Lahore, Sh. Muhammad Ashraf, 1954), p. 160.

(٣٦) Madame Abbasi, op.cit., p. 696.

في المشاريع الاجتماعية ٠

اعود فاكرر ان الاسلام ليس ضد اشتراك المراة في اى نشاط اجتماعي او اى نوع من العمل لو اعطيت الام جزءاً بسيطا من وقتها وعلى ان يأتي العمل في الدرجة الثالثة او الرابعة بعد واجب الامومة ٠

يتضح مما سبق ان لا مانع يمنع الفتاة غير المتزوجة من العمل على ان تعد نفسها في ذات الوقت لوظيفتها الطبيعية وتجعل منها هدفا اساسيا ٠

الخـــاتمـــة

لقد توصلنا الى ان الاسلام يفرض على كل مسلم تلقي العلم وهذا ينطبق على المراة والرجل سواء بسواء واذا وضعنا هذا المبدأ الاساسي نصب اعيننا استطعنا استنتاج النقاط التالية :

١ ـ التربية الاسلامية لا تعني التربية اللاهوتية فقط ولكنها تعني التربية للمجتمع الاسلامي اى تهيئة الفرد واعداده ليكون مسلما حقيقيا (٣٧)

٢ ـ ان الاسلام يعين للمراة دورا رئيسيا هو بناء المجتمع ومجالها الرئيسي للعمل هو المنزل ولكن ذلك لا يعني ان المراة لا تستطيع المشاركة في المجالات الاخرى، كل هذا يعتمد على ظروفها الخاصة .

٣ ـ ان نظرة الاسلام للتربية هي اعداد الفرد ليؤدى واجبه الكامل تجاه الخالق وتجاه المجتمع .

٤ ـ المجتمعات الاسلامية اليوم تتبع اساليب تربوية غريبة عنها وبالتالي فهي لا تستطيع سد حاجاتها وما تهدف اليه .

٥ ـ لن تصل المجتمعات الاسلامية الى سد حاجاتها التربوية الا عن طريق تقديم فلسفة التربية الاسلامية .

٦ ـ لا تمنع فلسفة التربية الاسلامية تدريس اى موضوع او استخدام اى طريقة تعليمية اكتشفت خلال العصر الحالي وبالتالي فهي لا تقف حائلا في وجه المجتمعات المتقدمة .

٧ ـ يجب تعديل البرنامج الدراسي بالنسبة للمراة المسلمة بحيث يعدها لوظيفتها الاساسية (الامومة) وذلك باضافة بعض المواضيع التي تساعد على تحقيق هذه الغاية .

---

(٣٧) الاطروحة الحالية انظر قبلا ص ٩٦ ـ ٩٧

المصـــــادر والمـــراجــــع

ابراهيم، كمال — التربية عند ابن سينا، الكتاب الذهبي للمهرجان للمهرجان الالفي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٢

ابو زهرة، محمد — تنظيم الاسلام للمجتمع، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة، ١٩٥٣

ابن خلكان، ت ٦٨١ هـ — وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، القاهرة ١٩٤٨

ابن عبد ربه، — العقد الفريد، شرحه احمد بن احمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٠ـ١٩٥٣

ابن النديم، — الفهـــرســـت، الطبعة المصرية، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٤٨ هـ

ابن الاثير، — تاريخ الكامل، الطبعة الاولى، المطبعة الازهرية المصرية، القاهرة ١٣٠١ هـ

ابن ابي الاصيبعة، — عيون الانباء في طبقات الاطباء، الطبعة الاولى المطبعة الوهبية، ١٨٨٢م

البهي، محمد — المجتمع الاسلامي واهدافه، مطبعة الازهر القاهرة، ١٩٥٩

بن الخطيب، لسان الدين — الاحاطة في اخبار غرناطة، حققه وقدم له محمد عبد الله عنان، دار المعارف بمصر ١٣١٩ هـ

اخوان الصفا، — رسائل اخوان الصفا، مجلد ١، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي، القاهرة ١٩٢٨

الاصبهاني ، ابو الفرج — الاغـــاني ج١ الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٧

الاصفهاني ، عماد الدين — تاريخ آل سلجوق ، بريل ١٨٨٩

امين ، احمد — ظهر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٣٢

يوم الاسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٢

ضحى الاسلام ج ١ و٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨

ارنولد ، توماس — تراث الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٦

بدري ، مالك — "تطور تعليم الفتاة في السودان" الســودان ، كتاب اتحاد الطلاب الجامعيين ، دار النشر للجامعيين ببيروت ، ١٩٦٣

البخاري ، صحيح — البخـــاري ، المطبعة الشرقية بخان ابي طاقية بمصر ، ١٣٠٤ هـ

بيرنيا ، حسن — تاريخ مفصل ايراني ، وزارة فرهنك ، تهران ، ١٣٣١م

الافغاني ، الشيخ عبد الحكيم — كتاب كشف الحقائق شرح كنز الدقائق ، المطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر ، ١٣١٨

الافغاني ، سعيد — الاسلام والمرأة ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٤٥

الانسي ، محمد علي — الدرر والكلال في بدائع الامثال ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ١٣٧٢ هـ

الترمزي، الامام الحافظ ابي عيسى، صحيح الترمزي ، الفاروقي ابراهيم عبد الغفار الدسوقي، ١٢٩٢ هـ

جمعة ، محمود لطفي، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المشرق والمغرب، مطبعة المعارف، القاهرة ١٩٢٧

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين ج٤، "حققه عبد السلام محمد هرون، "الطبعة الاولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٠

جاويش، الشيخ عبد العزيز، الاسلام دين الفطرة ، مطبعة القاهرة ، امبابه ، ١٩٤٩

حسن، ابراهيم حسن وغيره النظم الاسلامية ، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٥٤

الحوت، ابو عبد الله الشيخ محمد اسنى المطالب في احاديث مختلفة المراتب، التي طبعه الشيخ عبد الرحمن المقتفي ، ١٢٧٦ هـ

الحسني ، السيد ابي الحسن علي ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٠

حسين ، طه مرآة الاسلام، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩

خلف الله ، محمد الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥

الخربوطلي ، على حسني الحضارة العربية الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة

خفاجي ، محمد عبد المنعم الرد على الملاحدين، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة ، ١٩٦١

الاسلام وحقوق الانسان، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥١

دروزة، محمد عزة — الدستور القرآن في شؤون الحياة، داراحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٥٦

الدواني، جلال الدين — اخلاق جلالي، بيت النشر الاسلامي، لاهور ١٩٥١ (لغة فارسية)

الدرديرى، يحيي احمد — مكانة العلم في القرآن، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٦٤ هـ

رينتز، جورج وغيره — دراسات اسلامية، "ترجم باشراف الدكتور نقولا زيادة" دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٠

زيدان، جرجي — تاريخ التمدن الاسلامي، دار الهلال، الطبعة الثانية

سلامة، ابراهيم — خلق ودين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، القاهرة، ١٩٥٤

السمان، محمد عبد الله — التربية في القرآن، دار الثناء للطباعة، القاهرة ١٩٥٤

شديد، محمد — منهج القرآن في التربية، مكتبة الاداب، المطبعة النموذجية، القاهرة

شلبي، احمد — تاريخ التربية الاسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت ١٩٥٤

التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩

الصعيدى، عبد المتعال — دراسات اسلامية، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، الطبعة الاولى، القاهرة

الصعيدي، عبدالمتعال القضايا الكبرى في الاسلام، مكتبة الاداب ١٩٤٧

طلس، محمد اسعد التربية والتعليم في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧

عبدة، الشيخ محمد تفسير القرآن الكريم، الجمعية الخيرية الاسلامية، مطبعة مصر، ١٣٤١ هـ

الاسلام والرد على منتقديه، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٨

عفيفي، عبد الله المرأة العربية في جاهليتها واسلامها، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٣٠

علي، سيد امير "ترجمة عفيف البعلبكي"، مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦١

العقاد، عباس محمود الفلسفة القرآنية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧

العقاد، عباس محمود التفكير فريضة اسلامية، دار القلم، القاهرة

عثمان، فتحي الفكر الاسلامي والتطور، دار القلم، القاهرة

الغزالي، احياء علوم الدين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩

الغزالي، محمد الاسلام المفترى عليه، دار الكتاب العربي بمصر القاهرة، ١٩٥٣

الغلاييني، مصطفى الاسلام روح المدنية، بيروت ١٩٠٨

الفرابي ، علي مصطفى — خواطر اسلامية ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٥٦

فخر الدين، محمد الرازي — مفاتيح الغيب، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية ، "الطبعة الاولى" القاهرة ، ١٣٠٨ هـ

فهمي ، اسما حسن — مبادئ التربية الاسلامية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٧

فروخ ، عمر — الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب ، مكتبة منيمنة بيروت، ١٩٤٧

اخوان الصفا، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ١٩٥٣

تاريخ الفكر العربي ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت١٩٦٢

القرآن الكريم

قطب، سيد — العدالة الاجتماعية في الاسلام، مكتبة مصر ومطبعتها ، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة

في ظلال القرآن جـ ٥، عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى، القاهرة

قطب ، محمد — منهج التربية الاسلامية ، دار القلم، القاهرة

شبهات حول الاسلام، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٥٤

قاسم، محمود — الاسلام بين امسه وغده ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة

كحالة ، عمر رضا — اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام جـ ٣، المطبعة والمكتبة الهاشمية ، دمشق، ١٩٤٠

الكرمي ، محمد   اصول الدين الاسلامي ، قم ، ايران ، ١٣٦٨ هـ

الالوائي ، محي الدين   الاسلام وتطورات العالم ، مطبعة دار التأليف القاهرة ، ١٩٥١

ماسيه ، هنري   الاســـلام ، "ترجمة بهيج شعبان" منشورات عويدات ، بيروت ١٩٦٠

المقريزي ،   الخطط المقريزي مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ

المقري ،   نفح الطيب "المجلد الرابع" مطبعة بولاق القاهرة ١٢٧٩ هـ

المسعودي ، ابي الحسن   مروج الذهب ومعادن الجوهره "تحقيق محي الدين عبد الحميد" المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٤٨

الملطي ، ابو الحسين   التنبيه والرد ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية القاهرة ، ١٩٤٩

موسى ، محمد يوسف   الاسلام وحاجة الانسانية اليه ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩

محاضرات المجمع العلمي العربي ، ج ١ و ٢ ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٥٤

النبراوي ، الشيخ عبد الله   الاربعين النوويه ، الشيخ محمد الشوربجي ، القاهرة ، ١٢٩١ هـ

نظامي ، حسن   فاطمي دعوت اسلام ، مكتبة المنادى ، دلهي ١٩٤٤

النعيمي ، ابو المفاخر عبد القادر   الدارس في تاريخ المدارس ، حققه جعفر الحسني مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ١٩٥١

الهلالي، عبد الرازق   تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ١٩٥٩

وجدى، محمد فريد   الاسلام في عصر العلم، مطبعة الترقي بمصر ١٣٢٠ هـ

المدنية والاسلام، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة ١٩٣٣

اليازجي ، كمال   معالم الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦١

ياقوت ، معجم الادباء   عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٣٦

التقـــــاريـــــــــر

الشيخ داوود، صبيحة   اقباس من التعليم الجامعي وصيب المرأة العراقية فيه، تقرير تقدمت به الكاتبة للمؤتمر الاول لاتحاد الجامعيات العربيات المنعقد في بيروت عام ١٩٦٤

السعيد ، كريمه   تعليم البنت في الجمهورية العربية المتحدة ، تقرير تقدمت به الكاتبة للمؤتمر الاول لاتحاد الجامعيات العربيات المنعقد في بيروت عام ١٩٦٤

وزارة التربية والتعليم ،   التربية والتعليم في عشر سنوات ، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ، ١٩٦٠

وزارة التربية والتعليم، الكتاب السنوى، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ١٩٥٣

مصلحة الاستعلامات،   المرجع الشامل، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ، ١٩٥٢

وزارة التربية والتعليم   التقرير السنوى، الكويت ١٩٦١

وزارة التربية والتعليم، التقرير السنوي، المملكة الاردنية الهاشمية ، عمان ١٩٦١

المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي، الاطلس التعليمي للبلاد العربية ، سرس الليان ١٩٦٠

BIBLIOGRAPHY

Abbasi, Madame A. de Zayas, "Women in Islam", Islamic Literature; Lahore, Vol. IV

Ali, Sayed Amir, The Spirit of Islam, London, Christophers, 1923.

Arnold, T.W.; The Preaching of Islam, Lahore, Shirkat-e-Qualam, 1956.

Asad, Muhammad; Islam at the Crossroads, Lahore Arafat Publications, 1955.

Abdul-Latif, Sayed; Islamic Cultural Studies, Sh. Muhammad Ashraf, Kashmiri Bazar, Lahore, 1953.

Arsalan, Amir Shakib; Our Decline and its Causes, Sh. Muhammad Ashraf, Kashmiri Bazar, Lahore, 1952.

Akrawi, Matta; Curriculum Construction in the Public Schools of Iraq, New York, Columbia University, 1934.

Cormack, Margaret; The Hindu Woman, Teachers' College, Columbia University, New York, 1953.

Durkheim, Emile; "Anomie and Suicide" Sociological Theory, Trans. Coser and Rosenburg, New York, MacMillan Company, 1957.

Dow, Grove Samual; Society and its Problems, New York Thomas Y. Crowell Company, 1929.

Diehl, Charles; Byzantine Portraits, Trans. Harold Bell, New York, Alfred A. Knopf, 1927.

Gibb, H.A.R.; Whither Islam, London, Victor Collance Ltd., 1932.

Goldziher, I.; "Moslem Education", Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. V, p. 198-99.

Holt, P.; A Modern History of the Sudan, London Oxford University Press.

Izzedin, Najla; The Arab World, Chicago, Henry R. Company, 1953.

Iqbal, Muhammad; Reconstruction of Religious Thought, in Islam, London, Oxford University Press, 1939.

Kabir, Humayun, Science, Democracy and Islam, George Allen and Unwin, 1955.

Kritzeck, James et al.; The World of Islam, London, MacMillan and Co., Ltd., 1960.

Kennedy, Dringle; Arabian Society at the Time of Muhammad, Calcutta, Thacker, Spink and Company, 1962.

Lippit, Ronald; Dynamics of Planned Change, New York, Harcourt, Brace and World Inc., 1958.

Lundburg, George, A. et al.; Sociology, New York, Harper and Brothers, 1958.

"Madrassa" shorter Encyclopedia of Islam, pp.300

Mugannam, M.; The Arab Women, London, 1937.

Miel, Alice; Changing the Curriculum: A Social Process, New York, Appleton-Century-Crofts, Inc., 1946.

Minutes of the Third Islamic Colloquem, Lahore, Punjab University, 1957.

Neuman, Abraham A.; "Juadism", The Great Religions of the Modern World, edited by Edward J. Jurji, Princeton, N.J., Princeton University Press, 1947.

Nottingham, Elizabeth K.; Religion and Society, New York, Doubleday and Company, Inc. 1954.

Rizivi, S.; Islamic Philosophy of Education, Masters' Degree Thesis, Department of Education, M.U.B., 1963.

Rosenthal, E.I.: Political Thought in Medieval Islam, London, Cambridge University Press, 1962.

Shustery, A.M.A.: Outline of Islamic Culture, The Bangalore Printing and Publishing Co. Ltd., Bangalore City, 1954.

Sayyidain, K.G.: Iqbal's Educational Philosophy, Lahore Sh. Muhammad Ashraf, 1954.

Soomro, Iqbal Alam: Family and Social Adjustment Problems of University Educated Girls in West Pakistan, M.A. Thesis Education Department, A.U.B., 1962.

Tufail, Muhammad; Iqbal's Philosophy of Education, M.A. Thesis, Department of Education, A.U.B., 1959.

Totah, Khalil; The Contribution of the Arabs to Education, New York City, Teachers' College, Columbia University, 1942.

Tritton, A.S.; Materials on Muslim Education, London Luzac and Co., 1958.

Woodsmall, Ruth Frances; Women and the New East, Washington, D.C., The Middle East Institute, 1960.

Muslem Women Enter a New World, New York, Round Table Press, Inc., 1936.

Watt, W. Montgomery; *Islam and the Integration of Society*, London, Routledge and Kagan Paul, 1961.

Wach, Joachim; *Sociology of Religion*, Chicago, The University Press, 1944.

Zaehner, *The Dawn and Twilight of Zorasterianism*, New York, G.P. Putnam's Sons, 1961.

REPORTS

Ministry of Education; *Report on Educational Progress of the Republic of Iraq*, Republic of Iraq, 1960.

Ministry of Education; *Educational Statistics*, Educational Publication Bureau, Sudan, 1961.

International Year Book of Education; Vol. XXIII; Bureau of Education, Geneva, 1961.

ملحـــق تفســـير الايـــــات

(تفسير الجلالين)

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " (١)

يقول تعالى مخبرا الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ولتتمايز الانساب . فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله (ص) وبما يتركون من آثار تسعد الانسانية وتنفع الناس .

" وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما " (٢)

الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة ، وقد يكون بظلم الرجل . فالنشوز يعالجه الرجل باقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية (فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع واضربوهن) . وقد يكون بظلم من الرجل فاذا تمادى هو في ظلمه ، او عجز عن انزالها عن نشوزها ، وخيف ان يحول الخلاف بينهما دون اقامة لحدود الله تعالى في الزوجية ، باقامة اركانها الثلاثة ، السكون والمودة والرحمة . وجب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها عارفين باحواله واحوالها ، ويجب على هذين الحكمين ، ان يوجها ارادتهما الى اصلاح ذات البين ، ومتى صدقت الارادة كان التوفيق الالهي رفيقهما .

" كل ما انفقتم من خير للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل " (٣)

يسأل ابن الجموح عمرو كان شيخا ذا مال عما ينفق وعلى من ينفق وكانت اجابة

---

(١) ســـورة الحجـــرات ، ١٣ ، ص ١٠ رقم ٤
(٢) ســـورة النســـاء ، ٣٥ ، ص ١١ رقم ٥
(٣) ســـورة البقـــرة ، ٢٦ ، ص ١١ رقم ٦

الرسول انه يجب ان ينفق على الوالدين والاقربين والمساكين وابن السبيل فهؤلاء اولى . ثم يعود ليؤكد على ضرورة الصلة وعلى اعطاء ذا القربى حقه من الـــبر والعطف فهو حق له عليك وكذلك المساكين وابن السبيل في الاية الكريمة "وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل" (٤)

"فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم" (٥)

فهل عسيتم بكسر وفتح السين، اى لعلكم ان اعرضتم عن الايمان ان تفسـدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم وبهذا تعودون الى امر الجاهلية من البغي والقتال .

"يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون" (٦)

"يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم" (٧)

"يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا" (٨)

يخاطب الناس ان يأكلوا من حلالات ما اعطاهم وان يشكروا الله وكلمة حــلالا طيبا صفة مؤكدة اى مستلذا ولا تحرّموا النعمة التي اعطيتها لكم لتتنعموا بها .

(تفسير ابن كثير)

"اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم الانسان بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم" (٩)

اول شيء نزل من القرآن هذه الايات الكريمات، وهن اول رحمة رحم اللـه بها العباد واول نعمة انعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلـق

---

(٤) ســورة الاســراء : ٢٦ ، ص ١١ رقم ٧

(٥) ســورة محمــد : ٢٢ ، ص ١١ رقم ٨

(٦) ســورة البقــرة : ١٧ ، ص ١٤ رقم ١٥

(٧) ســورة المائــدة : ٨٧ ، ص ١٤ رقم ١٦

(٨) ســورة البقــرة : ١٦٨، ص ١٤ رقم ١٧

(٩) ســورة العــلق : ١ ، ص ١٥ رقم ١٩

الانسان من علقه وان من كرمه تعالى ان علم الانسان ما لم يعلم فشرفه كرمه بالعلم • وهو القدر الذى امتاز به ابو البرية آدم على الملائكة • والعلم تارة يكون في الاذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان • ذهني ولفظي ورسمي اى بالقلم والرسمي يسلزمهما ـ اى الذهني واللفظي من غير عكس، فلهذا قال تعالى (الذى علم بالقلم) ،وفي الحديث " قيدوا العلم بالكتابة ".

" هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (١٠)

هل يستوى من يعبد الله على علم ومعرفة بعظمته سبحانه • وبين من يجعل لله اندادا وشركاء، جهلا وعمى والاية هنا تفرض المعرفة على الفرد حتى يستطيع عبادة الخالق عن علم •

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات" (١١)

يرفع الله الذين اوتوا العلم درجات بحسب اقدارهم العلمية وتواضع نفوسهم وهو سبحانه يعلم النفوس الطيبة من الخبيثة • ولذا فهو يفرض التواضع بالعلماء وان اقربهم الى الله اكثرهم تواضعا •

" بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم" (١٢)

اى هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق امرا ونهيا وخبرا يحفظه العلماء واولى العقول النيرة الواعية المفكرة يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا وتشير الايـة الى ضرورة معرفة القرآن عن وعي وهذا يستلزم العلم والمعرفة فهو بالتالي تأكيد جديد من القرآن على التعلم •

---

(١٠) سـورة الزمـر ، ٩ ، ص١٥ رقم ٢١

(١١) سـورة المجـادلة ، ١١، ص١٥ رقم ٢٣

(١٢) سـورة سبـأ ، ٤٨، ص١٥ رقم ٢٤

"قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير" (١٣)

قل يا محمد انما آمركم بموعظة واحدة وهي ان تقوموا قياما خالصا لوجه الله من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من الجنون فينصح المهتدى الضال منكم . وهذا معنى قوله (ان تقوموا لله مثنى) . اما قوله (وفرادى) اى يفكر كل واحد منكم لنفسه من غير استعانة بغيره حتى لا يشككه في رأيه . كي تتأكدوا ان محمدا ليس بمجنون وانما هو رسول . فهذه دعوة الى التفكير واعمال العقل للوصول الى الحقيقة والى المعرفة الاكيدة .

"يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى ما
يحييكم" (١٤)

اجيبوا رسول الله (ص) اذا دعاكم لما يحييكم ويصلحكم من التعاليم والمعرفة بالنظم التي فيها صلاحكم وانتظام مجتمعكم .

"يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر" (١٥)

(اطيعوا الله) اتبعوا كتابه (واطيعوا الرسول) خذوا بسنته (واولي الامر منكم) من الحكام والرؤساء فيما امروكم به من طاعة الله لا في معصيته (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ان اختلفت آراؤكم في شأن من امور الدين او الدنيا ولم تهتدوا الى وجه الصواب فارجعوا الى كتاب الله وسنة رسوله .

---

(١٣) سورة سبأ : ٤٦، ص١٥ رقم ٢٥
(١٤) سورة الانفال : ٢٤، ص١٥ رقم ٢٦
(١٥) سورة النساء : ٥٩، ص١٦ رقم ٢٧

" ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين" (١٦)

لو كان محمد كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة او نقص منها او قال شيئا من عنده ، فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة وانتقمنا منه باليمين . وعبر باليمين لانها اقوى واقدر على الانتقام (الوتين) الاوعية التي تحمل القلب وهذه تشير الى حق الامة في محاسبة القائل لو اخطأ .

" انما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون" (١٧)

يذكر الله تعالى عباده المؤمنين بما انعم به عليهم من بعثه الرسول محمد (ص) اليهم يتلو عليهم آيات الله بينات ويزكيهم اى يظهرهم من رذائل الاخلاق ودنس النفوس وافعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة . ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون العقول الغراء ، فانتقلوا ببركة رسالته ، ويمن سفارته الى حال المفكرين والعلماء فصاروا اعمق الناس علما ، وابرهم قلوبا ، واقلهم تكلفا ، واصدقهم لهجة وابينهم لغة .

(تفسير الامام الشيخ محمد عبده)

بيان قوله تعالى "ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا ، فاولئك اتوب عليهم ، وانا التواب الرحيم" (١٨)

الاية بصدد الدعوة الى كل انسان ان يبين للاخرين ما صغر عليهم ، من امور الدين ، ويقاس عليها امور الدنيا ، من العلوم المختلفة .

---

(١٦) سورة الحاقة : ٤٤ ، ص ١٦ رقم ٢٩
(١٧) سورة البقرة : ١٥١ ، ص ١٦ رقم ٣٠
(١٨) سورة البقرة : ١٥٩ ، ص ١٦ رقم ٣١

ومن كتم شيئا استحق الطرد من الله وخسر رضاه الا ان كتمان امور الدين اشد عقابا من كتمان امور الدنيا ٠

ولوان مبدأ نشر العلم، وعدم البخل به ٠ سرى بين الناس لما وجدنا جاهلا بامور دينه اوبامور دنياه

فالعلم اذا كان فريضة على كل مسلم ومسلمة فتبليغ هذا العلم الى مـــن يحتاجونه اشد واعظم ٠ واثر ذلك قيام دين ودنيا على اساس من المعرفة الصادقة ٠ فان الاية الكريمة تتوعد اولئك الذين اخفوا معرفتهم بصفات الرسول عليه السلام مع علمهم بها وتأكدهم من انها صفات الرسول، وتتوعد من يكتم علما يتصل بالقرآن الكريم، وبالقياس تتوعد من يكتم علما يتصل بحياة الناس، تتوعد هؤلاء جميعا بانهم ملعونون ومطرودون من رحمة الله ٠

ومن بعد ما بيناه للناس في الكتاب اى من بعد ما ثبت يقينا في الكتب السابقة ان نبيا يبعث من العرب وله صفات معينة وله دعوة كدعوة السابقين ٠ او من بعدما بينا احكاما ونظاما في القرآن الكريم ٠ ثم لا يجعل القرآن الكريم كتمان العلم والمعرفة جريمة تستحق اللعنة فقط، بل جعل ذلك معصية تحتاج الى توبة وندم، فانه اجرم في حق الناس، وخالف اوامر الدين بتبليغ العلم، فاذا ندموا واوضحوا للناس ما يحتاجون اليه ، واصلحوا حال الناس بعلم ومعرفة فهؤلاء يقبل الله توبتهم ويجعلهم في عداد العلماء المبينين للناس ما غمض عليهم كشفا للحقائق وبيانا للطريق السليم الى الحياة الكريمة ٠

والاية بهذا تقرر الحقائق الاتية ؛

وجوب اظهار العلم وعدم كتمانه ٠

اثبات الحق ما دام الانسان قادرا على اثباته ٠

نشر المعرفة بين الناس

محاربة الجهالة

المبينون من العلماء لهم اجر عظيم، والبخلاء منهم لهم عقاب اليم ٠ وجوب تعميم التعليم، بتبليغ المعلم ما يعرف الى من لا يعرف ٠ اساس كل عقيدة او حضارة هو البيان والعلم ٠

اخفاء العلم او الدين جريمة ومعصية تستحق التوبة والندم • بالرجوع الى نشر العلم، وهداية الجاهلية يرضى الله عن العاصين • ولو ان الناس قاموا بتحقيق تلك المبادئ في شعوبهم واوطانهم ما رأينا ذلك الجهل المتفشي ، ولكان الناس جميعا ناهضين لا تخلف ولا تأخر •

" يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى ، فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، لا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله (١٩)

نقف امام اية كريمة طويلة ، نختار منها هذه الجزء المتقدم •

الاية دستور من دساتير القضاء ، ثم هي دعامة قوية من دعائم المحافظة على الاموال والحقوق من الضياع وازالة لاسباب الخصومات بين الناس بسبب التنازع والاختلافات على الحقوق ، وبخاصة الديون •

تبدأ الاية بسن تشريع يقصد به التسهيل على الناس في المعاملات • فليس كل انسان قادرا على دفع ثمن ما يشتريه من حاجياته واذن يضطر الى اخذ السلعة ودفع ثمنها مؤخرا ،

وليس كل الناس موسرين ، فبعض الناس يزرعون او يتاجرون ، وليست السلعة قاضية حوائجهم ، فالزراعة يتأخر محصولها الى زمن بعيد ، والتجارة تتوقف على رواج البيع والشراء ، وامثال هؤلاء في حاجة الى المال ، فيأخذون مالا الان على ان يسلموا سلعتهم مستقبلا حينما تصبح في ايديهم •

ولهذا جاء التشريع السمح بالقضاء على المشكلة وحلها حلا سليما ، فقال تعالى "اذا تداينتم بدين" اى اذا اخذتم سلعة واخرتم الثمن ، او اخذتم مالا واجلتم تسليم السلعة •

وكان ايحق الاخذ والعطاء بهذه الطريقة ، اليس الانسان عرضة للنسيان؟ واليس كثير من الناس يخفون الحق ويتبعون الظلم ، نعم -

احتاط القرآن الكريم لمثل هذا فضا للمنازعات •

---

(١٩) سورة البقرة : ٢٨٢ ، ص ١٦ رقم ٣٢

اولا : حدد لابنائه حدودا يقفون عندها : تسمية الاجل "الى اجل مسمى" يسمى اليوم والشهر والسنة . ولا يصلح ان يقول صيفا او شتاء ، ولا يصلح ان يقول عند رجوع فلان من سفره ، او يقول في موسم الحصاد . لان الوقت يختلف طولا وقصرا . والمدين ربما اهمل لعدم التحديد ، والدائن ربما طالب والح في الطلب دون ان يستعد المدين . لهذا جعل الاجل مسمى .

ثانيا : لما كان الانسان عرضة للنسيان وهو امر طبيعي ، ولما كان كثير من الناس مطبوعين على الظلم والجحود ، امر بالكتابة للاثبات حتى لا يكون هناك مجال للاختلاف بين المتداينين .

اليست الكتابة دليلا على حضارة يقيمها الاسلام على العلم والمعرفة في زمن كانت الجهالة والامية بين امم العالم اجمع .

ثالثا : وكما ان المتداينين عرضة للاجحاف بحق بعضهما البعض فكذلك الكاتب ربما يقبل رشوة فينحرف ، وربما يميل الى احدهما فيظلم الآخر ولهذا امر القرآن الكريم الكاتب ان يعدل " وليكتب بينكم كاتب بالعدل " بمعنى الا يكتب زيادة ميلا مع الدائن ، او نقصانا ميلا مع المدين ، او تحريفا للالفاظ عن مدلولاتها ، او كتابة لالفاظ عامة غير مخصصة او واضحة ليقع القاضي في اشكال بسبب غموضة الكتابة . فيضيع الحق . او يكتب مخالفا لشروط القضاء لاثبات الدين فيضيع حق دون موجب .

رابعا : ربما يمتنع كل كاتب ان يكتبه وهنا يذكر القرآن الكريم المسلم بنعمة القراءة والكتابة . فان من اخذ يعطى . ومن تعلم يعلم ، ومن عرف يجب ان ينشر بين الجاهلية معرفته والا كان غير معرف لله بنعمته عليه نعمة العلم والمعرفة . وشكر النعمة يزيدها وليس ذلك الا باستخدام صفة العلم في الامور التي يستخدم فيها العلم " ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله " اى لا يمتنع عن الكتابة وفاء لدين الله على الانسان بتعليمه وتوفيقه الى معرفة الكتابة . ان قرآنا هذا شأنه يرعى حياة الناس بوضع القوانين والنظم ، ويحث على الكتابة والعلم ، وعلى نشر المعرفة والثقافة بين الناس ان قرآنا هذا شأنه يجب ان تسود احكامه وان يكون نظاما لامة عريقة باقية على الزمن .

بيان قوله تعالى :

" هو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ، ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون ، وفي الارض قطع متجاورات ، وجنات من اعناب ، وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على
بعض في الاكل ، ان في ذلك لايات لقوم يعقلون " (٢٠)

لسنا نبحث الاية الكريمة بحثا لغويا او دينيا ، وانما القصد ان نبحثها بحثا علميا ، تبين مدى مسايرة القرآن الكريم للعلم الحديث ، وما على دقة البحث العلمي لتقوم عليه نهضة قوية ، تطالعنا الان بقوله تعالى " وهو الذى مد الارض " وهنا نحتاج الى بحث مسألة كروية الارض او امتدادها وبسطتها .

فان اية اخرى تقول " والارض بعد ذلك دحاها " اى كورها . وهذه الاية " مدها " اى بسطها .

واذن فهي في حقيقة تكوينها مكورة ، ولاتساعها في نظر العين مبسوطة .

اليست هذه الاية في حاجة الى علماء الطبيعة والجغرافيا بوجه خاص . " وجعل فيها رواسى وانهارا " ارض مبسوطة تتخللها انهار ، وجبال .

فما عوامل تكوين تلك الانهار ، ونشأة هذه الجبال ، وماقيمة كل ما فوق الارض المنبسطة ، لا شك ان الجبال تجعلها تتزن ليعيش الناس في امان يبنون حضارتهم ، ثم هي موطن المعادن المختلفة فهي في حاجة الى باحث علمي ينقب ويخرج الكنوز لاقامة تلك الحضارة . وتلك الانهار تسقي كل حي ، وتكون الزراعة عمادا للصناعة القائمة على معادن تلك الجبال .

واذن حياة الناس فوق البسيطة لا بد لها من صناعة وزراعة لتقوم على اساس حضارى " ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين " والزوجان هنا صنفان ، ونحن الآن امام علماء التاريخ المتخصصين فيه ، ليبحثوا معنا كيف قامت الدنيا على صنفين من كل نوع

---

(٢٠) سورة الرعد : ٣ و ٤ ، ص ١٧ رقم ٣٣

من الثمر، وفي حاجة الى علماء الحيوان، فيبحثوا معنا حاجة الذكر الى الانثى في تكوين كل شيء حتى الثمار.

ويدعو القرآن العلماء للبحث عن حقيقة ما تشير اليه الايات.

"يغشى الليل النهار" ولذلك ضلع في هذا، تقويم الليل والنهار، واختلافهما باختلاف الفصول وحلول احدهما محل الاخر، وميزات كل منهما، والسبب في نشأة الليل والنهار، مختلفين على هذا الوجه، وفائدتهما في حساب الايام والسنين وتقديرهما تقديرا لا يختل ولا يضطرب مع مرور الاعوام، وتعاقب القرون. كل ذلك في حاجة الى بحث علمي بجانب البحث الديني، ليكون العلم بجانب العقيدة.

ولما كانت هذه الامور كلها دقيقة، وليست سطحية او شكلية، ولما كانت ذات اسرار عميقة لا تكفي فيها النظرة الاولى، او الفكرة العارضة، او الكلمة المنمقة، جاءت الاية بنهاية تلك على هذا المعنى فقال تعالى: "ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون"

"وفي الارض قطع متجاورات" ان هذه الارض المتسعة ليست ذات طبيعة واحدة انها تختلف خصوبة وملوحة كما تختلف في خصوبتها وملوحتها الى درجات تشتد وتضعف. اليس ذلك في حاجة الى بحث علمي متخصص؟

"وجنات من اعناب، وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الاكل"

هذه الارض الفسيحة مختلفة الطبيعة، بقدرة الله تزرع بمزروعات مختلفة، فتنبت فيها وتثمر.

ومما يثير الدهشة، ان قطعة من الارض تزرع بمزروعات مختلفة وتسقى بماء واحد فيختلف فيها الثمر طعما وشكلا ولونا.

بل اغرب من هذا ان نواة تخرج شجرتين (صنوان) وبالطبع تأكل من ارض واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف ثمرة الفرعين مع ان الاصل واحد.

وان نعجب فليس الا من نواة تخرج فرعا واحدا يكون من هذا الفرع ثمر (غير صنوان) ويختلف الثمر اختلافا واضحا في طعم ولون وشكل ذلك.

السنا الان امام بحث علمي يميز بين الطعوم ويختبر التربة وينظر الى كيفية شق النواة

الارض، وكيف تتفرع الى فروع او تقتصر على فرع واحد، ثم عمل الماء مع التربة في النواة، وكيف اصبح للنواة جذر الى الارض وفرع الى السماء، وكيف يتم الانبات والاثمار، وما عوامل الجودة والرداءة ؟ انها اشارات الى بحوث علمية صدق بعضها العلم الحديث ويصدق البعض الآخر علوم تبحث في المستقبل القريب والبعيد . ولما كان اختلاف الثمر واضحا اكثر من نشأة الارض من البحوث الكونية الاخرى، ولما كان ايضا التفكير وليد العقل قال تعالى : "ان في ذلك لايات لقوم يعقلون" السنا نحن العرب والمسلمين مقصرون امام فهم قرآننا والعمل به ، واليست حضارات الآخرين محفوظة مدونة في كتابنا الكريم ؟

بيان قوله تعالى " وجعلنا الليل والنهار ايتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا" انها اية كونية تقوم عليها دنيا الناس ودينهم (٢١)

تلك الاية تعاقب الليل والنهار .

من الوجهة الدينية تمس العقيدة ، فانها تبطل قول القائلين ان الطبيعة خلقت نفسها، وكأن الاية تقول لماذا لم تخلق الطبيعة نفسها مضيئة ، او لماذا لم تخلق نفسها مظلمة . ان الاختلاف الدقيق بين الليل والنهار، دليل القوة التي استطاعت ان توجده ، واى قوة في العالم ولو تجمع علماء العلم الحديث لها تستطيع ان تغير هذا النظام ولو ظاهرة واحدة لتثبت قدراتهم .

اما من الوجهة الدنيوية فانها ذات شقين :

الاول : حساب السنين، والايام، والشهور، والساعات، وكل ذلك يتصل بعلم الفلك، ولولا هذا الحساب ما قامت الدنيا، ولا كانت الحياة ، وان هذه الاية وامثالها باعث قوى لعلماء العرب قديما ان يبحثوا في فلكهم ومظاهر هذا الكون عامة .

الثاني : الفوائد التي تتحقق من وراء ذلك التنظيم .

---

(٢١) سورة الاسراء : ١٢، ص ١٧ رقم ٣٤

لنأخذ التجارة ، وهي سر رواج وحضارة كثير من امم العالم، بل هي مصدر من مصادر تنازع العالم على السيطرة والنفوذ •

اليس الليل بنجومه والقمر باختلاف تطوراته كان البوصلة القديمة منذ خلق الله الخلق •

مثل آخر، ان النهار بشمسه يمد كل حي بالحرارة ، والليل بظله وضوء قمره يمده بالسكون والراحة ، وكما ينمو بالنهار ينمو بالليل لسر في هذا الظلام •

وان راحة الاعصاب واستقرار النفوس الذى يقوم عليه الطب النفسي لا تتحقق الا بظلام الليل، وضوء القمر، وهوء النجوم •

ومعاش الانسان يتطلب ضوء الشمس، والقوة التي تمده بها، فيتحرك ويعمل ويسير وينتج ويتحضر• وفي سبيل المعاش لا بد ان يستريح وينام هادئا ليعمل في نهار آخر فيستعين بالراحة على العمل •

ان الاية الكريمة تتجه الى تنظيم هذه الحياة اقتصاديا وطبيا، وذلك يرجع الى العلم الحديث في حقيقته ، والبحث عن الحقائق الكونية والتخصص فيها • ولذا اجاءت الاية الكريمة تعيش مع الناس، توجه وترشد وتحث على البحث العلمي السليم لنحيا حياة راقية •

ونظرة الى تفسير الاية تربنا ذلك المعنى واضحا •

" وجعلنا الليل والنهار آيتين" اى جعلناهما دليلين للناس على مصالح الدين والدنيا •

" فمحونا آية الليل" اذهبنا الضوء مكان الليل بظلامه •

" وجعلنا آية النهار مبصرة " اى النهار مضي" ليبصر فيه الناس احوال معاشهم •

ثم يبين السر في هذا التصرف الذى تبنى عليه حياة الناس" لتبتغوا فضلا من ربكم" رزقا تطلبونه نهارا وتستريحون له ليلا •

" ولتعلموا عدد السنين والحساب" اى ان معرفة الزمن تعين على تنظيم الحياة والسير فيها والنهوض بها •

" وكل شي" فصلناه تفصيلا" اى ان القرآن لم يدع شأنا يتصل بحياتنا الا وبينه واوضحه بحيث لم يترك به لبسا اوغموضا، ليستعين الناس به على ان يشقوا طريقهم في الحياة •

"الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى من عبادة العلماء ان الله عزيز غفور" (٢٢)

الاية الكريمة كسائر القرآن الخالد تهدف الى عقيدة دينية والى حياة دنيوية • بيان امر الدين في اقامة ادلة عقلية في نزول المطر ، ثم انبات النبات به ، واختلاف اصناف ثمر هذا النبات مع وحدة الماء •

وهذه جبال مرتفعة او منخفضة ، تختلف في طبيعتها كما تختلف في الوانها ، اختلافا في درجات البياض او الحمرة • والى هذين اللونين لون اسود ، شديد السواد (غرابيب) وهؤلاء اناس يعيشون في اماكن متباعدة او متقاربة وانعام تحيا معهم ، ويختلف الاشخاص والافراد في الوانهم واشكالهم والسنتهم ، فاين تلك الطبيعة الخالقة لهذه الامور؟ اما كان جديرا بها ان تخلق الاشياء متجانسة متحدة ؟ اليس اختلافها سر من اسرار قوة تستطيع ذلك ؟

ان كل عالم منظر بعقله الى الكائنات والوجود ، يفكر التفكير السليم ويصل الى معرفة الخالق يكون اعظم ايمانا ، واثبت عقيدة ، واكثر اجرا ممن يعبدون الله دون تلك المعرفة • ان الله عزيز قوى يخلق ما يشاء كيف يشاء ، وهو قادر على معاقبة من يتحدى ولا يحاول الفهم والتفكير ، فان رجعوا عن عصيانهم بمحض تفكيرهم وارادتهم قبلهم الله وغفر لهم •

اما امور الدنيا فان الاية تتبع في اسلوبها تعبيرا منطقيا علميا حديثا لتبين فوائد تلك المخلوقات الجليلة ، وتوضح في غير غموض ان الحياة اذا لم تبن علم حديث فهي حياة منهارة لا اساس لها •

لقد قسمت الاية المخلوقات الى حيوان وغير حيوان •

وبدأت باشرف كائن من غير الحيوان وهو النبات والماء الذى يسقيه ومنه تحيا كل

---

(٢٢) سورة فاطر : ٢٧ و ٢٨ ، ص ١٧ رقم ٣٩

ثم تشير الاية ان هذه الثمار ليست ذات طبيعة واحدة ، انها تختلف شكلا ولونا ومذاقا • وان الباحث عنها يحتاج الى دراسة التربة التي تنمو فيها • انها دراسة علمية لمعرفة طبيعة الارض• بمعرفة ما يصلح في بعضها من نبات وما لا يصلح وما يجود منها وما لا يجود حتى تنظم الزراعات في البقاع تنظيما يعود على المجتمع الانساني بالكفاية •

وبعد ان تحدث عن النبات تحدث عن المعادن وهو الجانب الآخر من جوانب الاقتصاد ، انما في حاجة الى دراسة تلك الجبال دراسة علمية لمعرفة انواع المعادن ومعرفة اكثرها فائدة حتى تقوم الصناعة وتقوم الحياة الغنية الراقية •

ثم تبدأ الاية في بيان القسم الثاني قسم الحيوانات واشرفها الانسان انه يسير هذه الحياة ويستغلها زارعا وصانعا ومنقبا • مع اختلاف اصناف الناس اختلافا يؤدي تجاوبا في تحقيق مصالح الناس جميعا فلولا اختلاف الناس في قدراتهم ومواهبهم لقصرنا في جانب من جوانب حياتنا لا شك مهم وعظيم •

وينتهي بذكر الحيوان • واختلافه باختلاف المناطق وكما توزع مصادر النبات والمعادن توزع مصادر الحيوان على العالم اجمع •

ان الدواب يحتاج اليها في اشياء متعددة يجب ان تستغل جلده وفراءة وصوفه وشعره وعظمه ونابه • والانعام انما هي وسيلة الانتقال ووسيلة الركوب للحروب او قضاء المصالح •

وهنا نجد تمجيد العلم والعلماء في القرآن الكريم، لم تقل الاية انما يخشى الله العابدون وانما قال يخشاه العلماء • لانهم فهموا اسرار هذه الحياة ، وعرفوا طبيعتها ولو انصفوا لآمنوا جميعا بقدرة الخالق لهذا الكون العجيب •

فاي حث واي تشجيع من زعيم او قائد كتشجيع كتاب مقدس يعتنقه اهله ويؤمنون بما فيه على انه عقيدة ، لا شك انهم عند مبادئه يقدسون العلم، ويعملون على نشره ، والعمل بمقتضاه لتسلم الدنيا كما سلمت العقيدة ، وتلتقي طمأنينة النفس مع سلامة الجسم، وتسمو الارواح مع صحة الابدان وسلامة العقول •

" كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب" (٢٣)

القرآن يرشد الى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة يتدبره ويفهم اخطائه ويعمل بها ويتعظ بآثارها ذوى الالباب الصحيحة والعقول النيرة التي تهتدى الى الصواب ولا تجادل مكابرة وبهتان وهذه دعوة صريحة الى التفكير .

" شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط" (٢٤)

شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو اصدق الشاهدين واعدلهم واصدق القائلين (انه لا اله الا هو) اى المنفرد بالالهية لجميع الخلائق وان الجميع عبيده وخلقه وفقراء اليه وهو الغني عما سواه ثم قرن شهادة ملائكته واولو العلم بشهادته . وهذه خصوصية عظيمة للعلماء وتكريم لهم في هذا المقام .

" سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق" (٢٥)

اى سنظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله علـــى رسوله (ص) بدلائل خارجية (في الافاق) من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان وظهور بعض المعجزات الخارقة للعادة (وفي انفسهم) مثل وقعة بدر وفتح مكة ونحوها من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمدا وخذل الباطل وحزبه . كما ان من الظواهر الدالة على قدرة الله في انفسهم ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى .

" ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا" (٢٦)

---

(٢٣) ســـورة ص : ٢٩، ص١٧ رقم ٤٠

(٢٤) ســـورة آل عمران : ١٨ ص١٨ رقم ٤٢

(٢٥) ســـورة فصلـــت : ٥٣ ص١٩ رقم ٤٣

(٢٦) ســـورة النساء : ٢٢ ص٣٤ رقم ١٢٦

هذا اللون من النكاح قدم على غيره في آية خاصة ولم يسرد مع سائر المحرمات في الاية الاخرى لانه على قبحه كان فاشيا في الجاهلية ، ولذلك ذمه بمثل ما ذم به الزنا للتنفير عنه • وكان الرجل في الجاهلية اذا توفي عن امرأة كان ابنه احق بها ينكحها ان شاء ان لم تكن امه او ينكحها الى من شاء الى آن جاء الاسلام فنهاهم عن ذلك ولم يحملهم وزر ما سبق قبل الاسلام من هذه العادات• ثم نفرهم بقوله "انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا" اى ان نكاح حلائل الاباء كان ولا يزال في النظرة السليمة التي فطر الله الناس عليها وابدتها الشريعة التي هداهم اليها امرا شديد القبح عند من يعقل وممقوتا مقتا شديدا عند ذوى الطبائع السليمة وبئس من يسلك هذا الطريق •

"وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة" (٢٧)

جاء ذكر تعدد الزوجات في سياق الكلام عن اليتامى والنهي عن اكل اموالهم ولو بواسطة الزوجية فقال : ان احسستم من انفسكم الخوف من اكل مال الزوجة اليتيمة فعليكم ان لا تتزوجوا بها فان الله تعالى جعل لكم مندوحة عن اليتامى بما اباحه لكم من التزوج بغيرهن الى اربع نسوة ولكن ان خفتم الا لا تعدلوا بين الزوجات او الزوجتين فعليكم ان تلتزموا واحدة فقط• والخوف من عدم العدل يصدق بالظن والشك فيه بل يصدق بتوهمه ايضا • ولكن الشرع قد يغتفر الوهم لانه قلما يخلو منه علم بمثل هذه الامور فالذى يباح له ان يتزوج ثانية او اكثر هو الذى يثق من نفسه بالعدل بحيث لا يتردد فيه او يظن ذلك ويكون التردد فيه ضعيفا •
ولما قال "فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة" علله بقوله "ذلك ادنى ان لا تعدلوا" اى اقرب من عدم الجور والظلم فجعل البعد عن الجور سببا في التشريع وهذا مؤكد لاشتراط العدل ووجوب تمريه ومنه انى ان العدل عزيز •

---

(٢٧) سـورة النسـاء ، ٣ ، ٣٧ ص٣٧ رقم ١٣٤

" فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما " (٢٨)

هذا جزء من اية طويلة يبين الله فيها احكام الرضاع ومدته والواجب على كل من الزوجين فيه ثم يبين سبحانه ، هذا الجزء ان والدى الطفل ان اتفقا على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك واجمعا عليه فلا جناح عليهما في ذلك آ ويؤخذ منه ان انفراد احدهما بذلك دون الاخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما ان يستبدل بذلك من غير مشاورة الآخر . وهذا فيه احتياط للطفل والزام للنظر في امره وهو من رحمة الله بعباده حيث حجز على الوالدين في تربية طفلهما ارشدهما الى ما يصلحهما ويصلحه وزوجه ويقاس على هذا في الاسلام بضرورة التشاور بين الرجل وزوجه .

" لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبو وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله بكل شيء عليما " (٢٩)

ان الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء اعمالا فيما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من اجره لا يشاركهم فيه النساء وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من اجره لا يشاركهن فيه الرجال وليس لاحد ان يتمنى ما هو مختص بالآخر وجعل الخطاب عاما للفريقين مع ان الرجال لم يتمنوا ان يكونوا نساء ولا ان يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف ، وانما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال ، واى عمل الرجال تمنين؟ تمنين اخص اعمال الرجولية وهو حماية الديار والدفاع عن الحق بالقوة ، ففي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين ، والحكمة في ذلك ان لا يظهر ذلك التمني الناشيء عن الحياة العلية الشريفة فان تمنى مثل هذا العمل غريب من

---

(٢٨) سورة البقرة : ٢٣٢ ص ٣٨ رقم ١٣٧

(٢٩) سورة النساء : ٣٢ ص ٤١ رقم ١٥٣

النساء جدا وسببه ان الاية في عنفوانها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها ، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العـــرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى ان النساء كن يسرن مع الرجال في كل منقبه وكل عمل ٠(واسألوا الله من فضله) اى ليسأله كل منكم الاعانة والقوة على ما نيط به حيث لا يجوز له ان يتمنى ما نيط بالآخر (ان الله بكل شيء عليما) فهو الذى علم الانسان بالهام وباياته في الانفس والآفاق كيف يطلب المنافع والفضل وكلما سأله بلسان الحال "من بعد وصية يوصين بها او دين" اى انما يكون لكم ذلك في تركتهن في كل من الحالتين بعد انفاذ الوصية ووفاء الدين اذ ليس لوارث شيء الا مما يفضل عنهما ان كانا كما تقدم ٠ "ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد" ما على التفصيل الســابق في اولادهن فان كان للميت منكم زوج واحدة كان لها وحدها وان كان له زوجان فاكثر، اشتركتا او اشتركن فيه بالمساواة والباقي يكون لمستحقه شرعا من ذوى القربى واولي الارحام لكم ٠

"والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا، فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير" (٣٠)

"والذين يتوفون منكم" اى يتوفاهم الله تعالى ويميتهم، "ويذرون ازواجا" اى يتركون زوجات، والفصيح استعمال لفظ الزوج في كل من الرجل وامرأته لانهما اتحدا في الباطن والحياة ، وان كانا مفترقين في الظاهر، ولهذا وضع لهما لفظ واحد (يتربصن بانفسهن اربعة وعشرا) والمعنى ان عدة النساء اللاتي يموت ازواجهن اربعة اشهر وعشر ليال لا يتعرضن للزوال بزينة ولا خروج من المنزل بغير عذر شرعي ولا يواعدن الرجال بالزواج "فاذا بلغن اجلهن" اى اتممن عدتهن (فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف" مما كان محظورا عليهن بالمنكر وجب منعهن (والله

---

(٣٠) ســـورة البقـــرة : ٢٣٤ ص ٤١ رقم ١٤٨

بما تعملون خبيرا) لا يخفى عليه منه شيء فاذا التزمتم النساء بالوقوف محكم عند حدوده اصلح احوالكم ورفه معيشتكم .

"وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى" (٣١)

هذه الاية في المرأة غير الممسوسة اذا فرض لها مهر وهو لها نصف المهر المفروض وهذا جرى على ان الذى كان عليه العمل هو حق المهر كله للمرأة عند العقد خلافا لما استحدثه الناس بعد من تأخذ الثلث . اى في الغالب وقد يؤخرون اكثر من الثلث او اقل حتى كأن ذلك من سنن الدين وما هو الا عادة من العادات . فالواجب دفع نصف ما فرضتم (الا ان يعفون) اى يعفو النساء المطلقات (او يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وهو الولي مطلقا سواء كان ولي الزوجة او ولي الزوج . (وان تعفوا اقرب للتقوى) والخطاب عام للرجال والنساء اى من عفا فهو التقي .

سورة النساء

"واتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا" (٣٢)

اى اعطوا النساء اللواتي تعقدون عليهن مهورهن نحلة ، اى فريضة لازمة عليكم (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) اى ان طابت نفوسهن باعطائكم شيئا من الصداق . فاعطينه من غير اكراه ولا الحاح ولا الجاء بسوء العشرة ولا اخجال بالخلابة والخدعة . فكلوه هنيئا مريئا سائغا لا غصص فيه ولا تنغيص.

"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا" (٣٣)

---

(٣١) سورة البقرة : ٢٣٧ ص ٤١ رقم ١٤٩

(٣٢) سورة النساء : ٤ ص ٤١ رقم ١٥٠

(٣٣) سورة النساء : ٧ ص ٤١ رقم ١٥١

كان الجاهليون لا يورثون البنات ولا الولد الصغير فنزلت هذه الايات لابطال ما كان عليه الجاهلون من عدم توريث هؤلاء وبيان ان لهم الحق في الميراث عن الاباء والاقارب بحسب الفريضة وهي ان للذكور مثل حظ الاثنين وليس لاحد ان يمنع عن هؤلاء حقهم قل هذا الحق او كثر ولهم نصيب هم مفروضا مقدرا معلوما حسب الاحكام الدينية .

" ولكم نصيب ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين " (٣٤)

ان لكم نصيب ما ترك ازواجكم اللواتي تحققت بهن الزوجية بأكمل معناها كالدخول بهن (ان لم يكن لهن ولد) ما منكم او من غيركم ذكرا كان او انثى واحدا كان او اكثر من بطنها مباشرة او من صلب بنيها او بني بيتها نازلا والباقي لاولادها ووالديها على ما بينه الله في الاية السابقة ، هذا ما ذهب اليه الجمهور وجرى عليه العمل (فان كان لهن ولد ولكم الربع مما تركن) والباقي من التركة للاقرب اليها من اصحاب الفروض والعصبات وذوى الارحام بعلم كل ذلك من موضعه في الكتاب والسنة .

---

(٣٤) سورة النساء ، ٧ ص ٤١ رقم ١٥١